من الأنثروبولوجيا إلى الأنطولوجيا

قراءة في الرؤية الوجودية للإنسان في العالم عند مارتن بوبر

محمد هاشم عبدالله(*)

"أنا أقدم التعبير الفلسفي عن خبرة"ما" لهؤلاء الذين يعرفون تلك الخبرة بوصفها خبرتهم الخاصة و"أنا" يمكنني أن أفعل أكثر من ذلك، وأستطيع القول بأنني في هذه الـ"أنا" أنا مخلص لعملي"(1)

تقديم

يعتبر مارتن بوبر أحد أهم الناطقين باسم الروح الإنسانية. ولد في فيينا عام 1878، ودرس الفلسفة وتاريخ الفن في جامعة برلين. ثم أسس دورية اليهودي Der Jude عام 1918، وبقي محررًا فيها حتى عام 1924. وقد أصبحت هذه المجلة، الناطقة بلسان حال اليهود-الألمان، تحت رئاسته فيما بين العامين 1923 و1933. وقد اشتغل بوبر فى تلك الفترة بتدريس الفلسفة والديانة اليهودية، و بعدها قام بتدريس تاريخ الديانات في جامعة فرانكفورت. وفي عام 1938 غادر ألمانيا مهاجرًا إلى فلسطين التي جعل منها موطنًا له. وهناك عمل، حتى العام 1951، أستاذًا للفلسفة الاجتماعية في الجامعة العبرية في القدس. وقد حاز بوبر عام 1951 على وسام جوتة من جامعة هامبورغ. وفي عام 1953 حصل على جائزة السلام من قبل معرض الكتاب الألماني.

كتب البروفيسور بوبر الكثير في مجالات الفلسفة، والتربية، وفلسفة الدين؛ ودرّس علم الاجتماع، والفن، وتفسير التوراة، واليهودية، والحَصيدية، والصهيونية. أمّا أعماله الأكثر شهرة فهي «الأنا والأنت»، «التعريف الكلاسيكي لفلسفة الحوار»، «بين الإنسان والإنسان»، «كسوف الله»، «حكايات حَصيدية»، و«توضيح الطريق».

ذهب مارتن بوبر ثلاث مرات إلى أمريكا. كانت أول مرة في عام 1951-1952 بدعوة من الندوة اللاهوتية اليهودية. ثم في عام 1957 بمناسبة الذكرى الرابعة لوفاة زليم ألنسن وايت

(*) مدرس الفلسفة الحديثة والمعاصرة، قسم الفلسفة ، كلية الآداب، جامعة المنصورة. مصر

(1) (Friedman) Maurice S. interrogation of Martin Buber. In Philosophical interrogations, ed. Sydney and Beatrice, Rome (New York : Holt ,Rinehart , and Winston , 1964), P.84 .

حيث ألقى محاضرة في معهد واشنطن لعلم النفس. ثم في عام 1958 كأستاذ في جامعة برينستون.[1]

وتمتزج فلسفة (مارتن بوبر) بالتراث (الحصيدي) لليهودية، بالضبط مثلما تضرب وجودية (دستويفسكي) و(برديائيف) بجذور عميقة في روح الأرثوذكسية الروسية[2]. ومن هنا كانت النقلة – المهمة – من الأنثروبولوجيا الفلسفية التي مثلت في الأغلب محور فلسفة بوبر ككل.

1- إشكالية البحث

ظلت الأنثروبولوجيا الفلسفية تمثل اللبنة الأساسية التي أقام عليها مارتن بوبر فكره الفلسفي على وجه العموم، وفكره الأنطولوجي – إن جاز لنا التعبير– على وجه الخصوص. ذلك أن المنطلق الأساسي لدى بوبر يكمن في فلسفة العلاقة – أو بحسب التعبير الشائع"فلسفة الحوار"– وعلاقة الأنا بالأخر والأنت (بمعنى"الأنا والهو" و"الأنا والأنت").

ويتمثل موضوع الأنثروبولوجيا الفلسفية فى معرفة الإنسان في شموليته، فهذا الفرع المعرفي يشير إلى الاهتمام بالوجود الإنساني في سياق دينامياته الكلية. وفي هذا السياق تكون كينونة الإنسان وصيرورته في حالة تكامل جوهرية مع بعضها البعض إلى حد تشكيل واقع واحد لا يتجزأ. وهكذا تكون معرفة الإنسان هي فهم الإنسان في جوهر كينونته وصيرورته معا. وهذا أمر لا يمكن استيعابه على نحو موضوعي عن طريق رد الإنسان إلى كونه مجرد موضوع لمعرفتنا كما لا يمكن استيعابه على نحو ذاتي بأن يسحب المرء ذاته الخاصة من الصيرورة البشرية. وفي كلتا الحالتين نحن نفصل الإنسان عن كليته أو بمعنى أصح شموليته واستمراريته، ومن ثم لا يمكننا أبدًا ضمان يقينية معرفتنا بالإنسان. وبناء عليه فطالما تعلق الأمر بموقف المعرفة الأنثروبولوجية فأن نموذج"الذات–الموضوع" القائم في نظرية المعرفة التقليدية يصبح غير مناسب وفي غير محله، ومن ثم يجب اعتماد طريقة أخرى في فهم الإنسان.

---

(1) راجع فى ذلك القاموس الفلسفي لمعابر: مارتن بوبر
http://www.maaber.org/philosophy/Buber.htm
وانظر ايضا فيما يتعلق بحياته ، واعماله ، واهم مصادر فلسفته : هاشم (محمد) ، جدلية المعرفة – قراءة فى البعد الابستمولوجى لفلسفة الحوار عند مارتن بوبر (بحث غير منشور).

(2) (دوبفوار) سيمون، أنا وسارتر والحياة، ترجمة عايدة مطرجي إدريس، منشورات دار الأدب، بيروت – لبنان، ط1، 1961، ص 19.

ويطرح هذا البحث إشكالية مهمة يمكن صياغتها فى السؤال الاساسى الاتى: كيف انتقل بوبر من الأنثروبولوجيا الفلسفية إلى محاولة تقديم أنطولوجيا حقيقية عن الوجود البشري؟ .

وعن هذا السؤال يمكن ايضا صياغة الاسئلة الفرعية الاتية: كيف أسس بوبر أنطولوجيـاه على أهم ركائز فلسفته وهي"فلسفة الحوار"؟. وما هي رؤية بوبر لحدود الكائن البشرى؟ ، واين يبدأ – من وجهة نظره – وجود الإنسان؟ ، وكيف يتم إدراك ذلك الوجود في مسار الحياة؟ وما هي المعاني المتضمنة في الوجود – أو بالأحرى فى الكينونة؟ وهل ثمة جهة نهائيـة يسـير نحوها الوجود البشري؟

واخيرا يحاول البحث الذي بين أيدينا الوصول إلى ذلك الجانب الأكثر تعقيدًا فـي فلسـفة بوبر، ألا وهو" فلسفة التربية". ذلك أن بوبر يقيم علاقة وثيقة بين ثلاثة أفرع تمثل في مجملها الهيكل الرئيسي لفلسفته ككل وهذه الأفرع هي"المعرفة"، و"الانطولوجيا"، و"فلسفة التربية"، حيث ترتبط جميعها بالكائن البشري، وهو محور فلسفة بوبر.

2- من الأنثروبولوجيا إلى الأنطولوجيا

أ- نزوع نحو الأنطولوجيا

حينما نتأمل، ما الذي بين إنسان وإنسان فإننا نتخطى –حسبما يرى بوبر– حدود الأنثروبولوجيا إلى مشارف انطولوجيا الكائن البشرى. وليس المقصود هنا مجرد تقديم تعريف لحدود الكائن البشرى، بل اجراء بحث فى ماهية الوجود الإنسانى ذاته: كيف يتم إدراكه في مسار الحياة؟ وإلى أي معانٍ يشير؟ وإلى أي ناحية يتجه، إذا ما كان يتجه لشيء أصلا؟

يسمى بوبر الرد على مثل هذه التساؤلات"أنطولوجيا"، فهو يتحدث تحديدا في أحد المواضع عن"نزعة أنطولوجية / Ontologism" إشارة إلى فهمه الخاص للواقع باعتباره طريقا ثالثا، من طرق الفهم غير المتعلق بالنزعة الكوزمولوجية / Cosmologism"، او"النزعة السيكولوجية/ Psychologism".[1] وعلى أية حال، فإننا نجد من المهم أن نشير إلى أن"النزعة الأنطولوجية" ليست نزعة أو مذهب"ism" بمعنى مجموعة من الاستنتاجات المصطنعة. ولهذا السبب يعارض بوبر، اصطلاحات من قبيل"المذهب الوجودي" وغيرها، فنجده يقول" أنا لا أشيد أبراجًا، بل انصب جسورا؛ لكن الأعمدة التي ترتكز عليها تلك الجسور لا تغوص في نزعات أو مذاهب

(1) (Wood) Robert E., Martin Buber's Ontology, (Evanston: Northwestern University Press, 1969), p. 110.

'isms'، وقناطرها لا تتناسب مع بعضها بواسطة "نزعات"[1]، إذن فهو حينما يتحدث عن"النزعة الأنطولوجية"، فإن إشارته تكون هنا إلى مشكلة أكثر منها إلى حل[2].

إن التباين بين"النزعة الأنطولوجية" و"النزعة السيكولوجية" تباين هام لأنه يشير إلى رغبة بوبر فى تأسيس الأنثروبولوجيا داخل الانطولوجيا بشكل يخلصها من الذاتية والنسبية (subjectivism and relativism). والى الحد الذي ينجح فيه هذا المسعى، فإنه يُحرر بوبر من مسئولية كتابة"السيرة الذاتية الخاصة" – وهي مسئولية تتماشى مع خبرته الشخصية بغض النظر عن مدى دقة وانسجام وصفه الأنثروبولوجي. وما دامت هذه السيرة لا تتصف بالشمولية؛ فان هذا يعني انه ليس من الضروري أن تنطبق الخبرة الناتجة عنها على خبرة كل شخص آخر[3]. ومن الواضح أن بوبر يدرك أن الأنثروبولوجيا تخضع لمثل هذا النوع من الاعتراض، ولهذا فإنها تتطلب إرساء قواعدها في الأنطولوجيا. وتعتبر مشكلة السيرة الذاتية الوجودية هي مشكلة "النزعة السيكولوجية" التي يسعى لتفاديها من خلال موقفه الأنطولوجي؛ ولكنه يرى أن هذا لا يستلزم اعتناق موقف ميتافيزيقي.

> ليس لديَّ ميتافيزيقا أبنى عليها إيماني، فأنا لم أبتكر أي ميتافيزيقا بنفسي، ولا أرغب في ابتكار أي منها، فلست احتاج إلى أي منها، ولا يسعني ابتكار إحداها. وحينما أقول أن شيئا ما يحمل لي دلالة أنطولوجية، فأنا أعنى بذلك أن اذكر انه ليس حدثا سيكولوجيا خالصا، بالرغم من انه يضم في ذاته ذلك الحدث أو على الأحرى يجعل من نفسه ظاهرة تظهر باطنيا داخل هذا الحدث.[4]

---

(1) Cited by Wood, op. cit., p, 110.
(2) Ibid.

(3) لمزيد من التفاصيل راجع:

- (Earle) William, "Ontological Autobiography," Phenomenology in America, ed. James M. Edie (Chicago: Quadrangle Books, 1967) , pp. 69ff;

و

- (Grabau) Richard F., "Existential Universals,", An Invitation to Phenomenology, ed. James M. Edie (Chicago: Quadrangle Books, 1965), pp. 147ff.

ويقترح البروفسور جرابو في مقاله أن انعدام الاتفاق بين الفينومينولوجيين يرجع إلى أن كل منهم يصف البُنى العامة للكائن البشري استنادا إلى "تجربته الخاصة المفردة التي يفهمها، خطأ على أنها خبرة عامة، وهي الخبرة التي ليست لدى جميع البشر بالطبع.

(4) "Interrogation of Martin Buber," conducted by Maurice S. Friedman, Philosophical Interrogations, ed. Sydney and Beatrice Rome, (New York: Holt, Rinehart, and Winston, 1964), p. 84.

كيف يمكن للنزعة الأنطولوجية أن تتجنب الميتافيزيقا وتظل محافظة على أكثر من مجرد الصلاحية الشخصية؟ يتم هذا، جزئيا، من خلال تفسير خبرات المرء العينية بالآخر (the other). وسواء بدأ الشخص بمفهوم الإقصاء البدائي أو"الدخول في علاقة"، فإن الخبرة تكون بالفعل من نوع يختلف عن الخبرة الخاصة التي تقود إلي" الكوجيتو الديكارتي" أو إلى"الأنا الترانسندنتالي" (الواقع وراء نطاق الخبرة) التي قال بها هوسرل. ولا تعتبر"المثالية الذاتية" تهديدا عندما تدخل"الأنا" إلى الوجود وذلك فيما يتعلق بـــ"الأنت" أو"الهو".

بالإضافة إلى ذلك، نحن بحاجة إلى أن نفهم شيئا ما عن الطبيعة الخاصة المميزة"للكليات الوجودية"، أو شمولية الخبرات الوجودية وهذه الكليات هى التي يسميها البروفيسور شراج Schrag "الوجوديات" (وهو في ذلك يتبع استخدام هيدجر الفني لمصطلح لمصطلح "Existenzialien")، وتختلف هذه "الكليات الوجودية" إلى حد كبير عن المقولات العامة للفلسفة التقليدية مثل: مقولات أرسطو، أو مقولات كانط. إن "الوجوديات" نوع من"المقولات المشتقة من خبرة الفرد" التي مر بها وهي تدين بعموميتها المحدودة" للطبيعة التاريخية" لتلك الخبرة[1]. وفي موضع آخر من كتابه "الوجود والحرية" يطلق شراج على"الوجوديات" "الأفكار الشاملة المنظِمة" ويثبت لنا انه"في حين أن مقولات الميتافيزيقا التقليدية تكون ثابتة ومكتملة، فإن الأفكار الشاملة المنظِمة لانطولوجيا الخبرة تكون متدفقة وبلا حدود"[2]. ليس المقصود من الوجوديات أن تحدد أو تثبّت طبيعة وحدود الخبرة سلفًا، (كما هو الحال مع مقولات كانط)، بل أن توضح"الخبرة بعد الواقعة"."إن مبرر الفكرة الشاملة المُنظمة يكمن في نجاحها في توضيح السياق الواقعي للحياة البشرية"[3]. إذن، فعمومية الوجودية الحية عند كاتب ما يحددها المدى الذي أجد فيه خبرتي، هي الأخرى، تتضح بوصفها"طبوغرافيا وجودية" مشابهة لخبرته[4]، ولهذا فأنا أؤكد من خلال خبرتي صحة وصفه لخبرته الوجودية، دلك الوصف الذي يتخطى مجرد حدود شخصيته الذاتية.

---

(1)(Schrag) Calvin O., Existence and Freedom, (Evanston: Northwestern Universit,, Press, 1961), p. 17.

(2)(Schrag) Calvin O., Experience and Being, (Evanston: Northwestern University Press, 1969), p. 256.

(3) Ibid.

(4) Schrag, Existence and Freedom, p, 9.

وتبدو هذه الطريقة – فى الحقيقة- هي الأنسب لوصف موقف بوبر نحو الانطولوجيا، فلقد لاحظنا عادته في السعي وراء اكتشاف حقيقة حياة الآخر بدلا من أن يفرض عليه رأيا متحيزًا، فهو نفسه يقول:

> أنا أُقدم التعبير الفلسفي عن خبرة ما لهؤلاء الذين يعرفون تلك الخبرة بوصفها خبرتهم الخاصة. و"لا" يمكنني أن أفعل أكثر من ذلك؛ لكنى أتجرأ على الاعتقاد بأني في هذه الـ"لا" أنا مخلص لعملي.(1)

وعلي الرغم من صعوبة قراءة وفهم كتابات بوبر بسلاسة ويسر ورغم تأثيرها الواسع في الفلسفة وعلم اللاهوت والعلاج النفسي والنظرية الاجتماعية والسياسية والتعليم، رغم كل هذا، فإننا نجد أن الانتشار الواسع لكتابات بوبر تنحي جانبا الحكم علي كتاباته بأنها تقتصر علي وصف نطاق ضيق من الخبرات البشرية.. بل علي النقيض، نجد أن هناك مناشدة عالمية في فكره الذي يعد أكثر دراماتيكية حينما نتأمل بساطة الخبرات التي انبثقت عنها أفكاره. وفى هذا الإطار نستطيع الانتقال إلي التركيبات ذات النزعة الأنطولوجية التي تنبثق من وصفه للكمال الإنساني.

ب- <u>بين الإنسان والإنسان</u>

إن أول ما يحدث بين الإنسان والإنسان بعد الإقصاء اللازم هو"اللقاء"، إذ أن"كل الكائنات تلتقي"(2)، ولقاء الفرد مع الآخرين يحدث علي"مستوي ضيق" يعرف باسم نطاق"البين".

> "بين" ليست تركيبا مساعدا، بل إنها المكان الرئيسي والحامل لكل ما يحدث بين بني البشر، غير أنها لم تلق اهتماما ملائما، لأنه بغض النظر عن روح الفرد والسياق الخاص، فإنها لا تستمر بسلاسة، بل إنه يتم إعادة تشكيلها وفقا للقاء الأفراد مع بعضهم البعض، ومن ثم فإن الخبرة تنضم تلقائيا إلى العناصر الأخرى المستمرة- ألا وهي الروح وعالمها.(3)

وها هنا نجد"حقيقة" الوجود البشري، فلا نري هنا فكرة مجردة لوجود المرء بمفرده أو المجتمع المحيط به وحده، بل إننا نري الكمال الحقيقي للإنسان.

---

(1) "<u>Interrogation</u>," p. 29.
(2) (Buber) Martin, I and Thou, trans. R. G. Smith, (New York: Charles Scribner's Sons, 1958), p. 11.
(3) "Buber" Martin, "<u>What is Man</u>?" Between Man and Man, trans. R. G. Smith, (Boston: Beacon Press, 1955), p. 203.

إنك إذا قمت بعمل دراسة عن الإنسان وحده بمنأى عن العالم المحيط به ، فكأنك تري من الإنسان ما تراه من القمر، ولا يمكنك تكوين رؤية شاملة ومتكاملة إلا من خلال تعامل الإنسان مع الإنسان، وإذا قمت بدراسة الصورة الإجمالية بمفردها، فمثلك مثل من يري من الإنسان ما نراه من مجرة درب التبانة، إذ أننا نجد أن دراسة علاقة الإنسان مع الإنسان تبلور شكلًا متكاملًا وواضح المعالم.[1]

وفي كتاب"الأنا والأنت"، نتعلم من طبيعة لقاء الإنسان مع الإنسان، إذ أنها طبيعة تبدأ بالتمييز بين حالتين محتملتين من هذا اللقاء.

جـ – "الأنا والأنت" و"الأنا والهو" في الكينونة البشرية

يعبر بوبر عن المعنى الأساسي لاحتمالية ثنائية الإنسان بإيجاز في السطور الأولي من كتابه"بين الإنسان والإنسان" كما يلي:

العالم ثنائي بالنسبة للإنسان وفقًا لموقفه الثنائي.

سلوك الإنسان ثنائي وفقا للكلمتين الرئيستين اللتين يمكنه استخدامهما في حديثه.

الكلمات الرئيسية ليست كلمات مفردة بل كلمات مزدوجة.

الكلمة الرئيسية هي الكلمة المزدوجة"الأنا والأنت" (I-You).

الكلمة الرئيسية الأخرى هي الكلمة المزدوجة" الأنا والهو" (I-It)، غير أن هذه الكلمة الرئيسية لا تتغير حينما نتحدث عن هو للعاقل (He-She) بدلا من"هو" لغير العاقل (It).

وهكذا فإن"الأنا" التي يستخدمها الإنسان ثنائية هي الأخرى، إذ أن كلمة"أنا" في الكلمة الرئيسية (الأنا والأنت) تختلف عن مثيلتها في الكلمة الرئيسية (الأنا والهو).[2]

وليس من الصعب فهم معني العلاقة مع شخص آخر باعتباره"هو"، فحينما يسير الشخص وسط حرم جامعي، فهو يمر بين جموع الأفراد بنفس اللامبالاة التي يمر بها علي مقعد في الطريق ، وحتى إذا توقفت عند المقعد لأستريح عليه، فهو يخدم أغراضي ويحقق رفاهيتي، أنا الذي أستخدمه، وكذا الحال في علاقتي مع الأشخاص الآخرين، فهم يخدمون احتياجاتي، فهذه

(1) Ibid., p. 205.
(2) (Buber) Martin, I and Thou, trans. Walter Kaufmann, (New York: Charles Scribner's Sons, 1970), p. 53.

تبيع لي البقالة، وذاك اشتري منه الغاز، وهذه تشبع احتياجاتي الجنسية دون أدني تغيير في نيتي الجوهرية. وليس من الضروري أن تغير"روح الإيثار" هذه الصورة، فمن خلال"الإيثار الحقيقي"، يمكن أن ينسجم الفرد مع الآخرين، فعلي سبيل المثال،"يتعامل عالم النفس أو عالم الفيزياء الذي يقوم بملاحظة الأفراد من أجل التحقق من فرضية معينة مع مواد بعينها""Its علي الرغم من أن إخلاصه للبحث خال من دوافع"الأنا المحدودة"[1].

ومن الصعب إدراك المعني المقصود من"الأنا والأنت""، بل أنه بمعنى ما لا يمكن فهم ذلك المعنى علي الإطلاق، ولكن ينبغي خوض هذه التجربة. ذلك أن عملية تكوين تصور أو مفهوم عن"الأنت"، للتعبير عنه باستخدام اللغة، تعني موضعة ما يتم تكذيبه بالتموضع. ونجد أن بوبر يستخدم الفلسفة كوسيلة، غير أنه لا يعتبر التعبير الفلسفي عن الخبرة تعبيرًا ملائمًا، فيقول:"ينبغي علي أن استخدم الفلسفة كوسيلة، لأنه لا توجد طريقة أخري لتحقيق هدفي سوي هذا، ولكن هدفي في حد ذاته لا يمكن إدراكه فلسفيًا".[2]

ولقد كرر موريس فريدمان في مواضع عدة وصفه لعلاقة –"الأنا الأنت"، فهو يقول أن لها سمات"التبادل"، "والمباشرة"، "والوجود"، "والكثافة"، "وعدم الوصف"[3]. بل إن بوبر نفسه يساعدنا في أن نري الفرق بين"الأنت""والهو"من خلال استخدام هذه الكلمات إلي جوار بعضها البعض في المقولات المتغايرة.

يمكن استخدام علاقة"الأناوالأنت" فقط عند الحديث عن وجود الفرد ككل.

لا يمكن استخدام"الأنا والهو" أبدا عند الحديث عن وجود الفرد ككل.

ينتمي العالم من حيث الخبرة إلي الكلمة الرئيسية"الأناوالهو".

تشكل الكلمة الرئيسية"الأنا والأنت" عالم العلاقات.

تنبثق العلاقة في"الأنا والأنت" من اللقاء بصورة طبيعية.

تنبثق العلاقة في"الأنا والهو" من التمييز بصورة طبيعية.

---

(1)(Edwards) Paul, Buber and Buberism, (University of Kansas: Dept. of Philosophy, 1970), p. 4.
(2) "Interrogation," p, 17.
(3)(Friedman) Maurice, Martin Buber: The Life of Dialogue, (New York: Harper Torchbooks, 1955), p. 57.

يعد عالم"الهو" معلقا في الزمان والمكان معا، بينما لا يعد عالم"الأنت" معلقا في الزمان و المكان معا.[1]

وبهذا المعنى يمكننا توسيع هذه القائمة من خلال مجموعة مشابهة من المقولات المتغايرة:

"الهو" تعبر عن عالم المعرفة التجريبية، و"الأنت" تعبر عن عالم المعرفة الشخصية.

"الهو" تعبر عن حالة الحتمية، و"الأنت" تعبر عن نطاق الحرية.

"الهو" تشير إلي الماضي. و"الأنت" تشير دائما إلي الحاضر فقط.

"الهو" يتم استخدامها للإشارة إلي"الآخر"، و"الأنت" يستحيل استخدامها بمفردها.

وفي بعض الأحيان، يستخدم بوبر كلمة"الخبرة / Erfahrung" بنفس الطريقة الحيادية التي نستخدمها كلنا، فنحن نقول"لقد كانت خبرتي...."، وبالمثل نجد أن بوبر في كتابه"الرد علي نقادي"، يتحدث عن خبرته وتجاربه، ويقول"أنا لا أستخدم مفهوم"الخبرة""experience بصورة نقدية هنا، كما هو الحال في بداية كتاب الأنا والأنت، ولكني أستخدمها بصورة ايجابية، لأشير ببساطة إلي ما يحدث لي[2]، وفي سياق آخر، نجد أن كلمة"خبرة" لها معني ايجابي."لأذكر الأدلة علي خبرة بعينها، هذا هو هدفي الرئيسي، غير أنني لا أقصد تقديم النصح أو الوعظ للأفراد، ولكن من خلال إيضاح أن هذه الخبرة في متناول الجميع بطريقة وشكل معين".[3] ولكن في كتاب الأنا والأنت، فإن لفظ"هو" يمثل عالم الخبرة والاستخدام.، وهنا نجد أن"الخبرة" في تباين مع"العلاقة"، وهذه ليست الخبرة التي يمر الإنسان بها في حياته في الأنثروبولوجيا الفلسفية، ولكنها الخبرة الناجمة عن التقصي والتحقيق.

يمر الإنسان في حياته فوق السطحي الخارجي من الأشياء ويقوم بتجربتها، ثم يكتسب منها بعض الخبرة عن الحالة الخاصة بها..فهو يقوم بتجربة ما يجده بالنسبة للأشياء.

بيد أنه ليست الخبرات وحدها هي التي تجلب العالم للإنسان.

ذلك لأن ما تجلبه له هو العالم الذي يتكون من"الهو" و"الهو" (It): أو من"الهو" و"الهو" (He and He)، و"الهي" و"الهي" (She and She)، و"الهو" (It).

---

(1) Buber, I and Thou, Kaufmann trans., pp. 54, 56, 76, and 84.

(2)(Buber) Martin, "Replies to my Critics," The Philosophy of Martin Buber, (La Salle, Ill.: Open Court, 1967), p. 689.

(3) "Interrogation," p. 18.

يا لكل هذا التراكم من المعلومات! هو، هو، هو![1]

في هذه الفقرة، يتلاعب بوبر بكلمة"خبرة""experience"، وقد استشف العديد من النقاد المعني الذي يرمي إليه – وخاصة والتر كوفمان في مقدمته لترجمة كتاب «الأنا والأنت». فيوضح كوفمان أن هناك علاقة لغوية وطيدة بين كلمة (erfahren) الألمانية بمعني"يجرب" وكلمة (fahren) بمعني"يذهب، أو يسافر"، وتظهر أشكال من هذه الكلمات في تعبيرات من قبيل"يمر فوق السطح"goes over the surfaces بمعني يتناول الإطار الخارجي، وفي هذا الصدد يقول كوفمان:

> إن أثر الجملة الألمانية تهدف في المقام الأول إلى تنبيه القارئ إلى احتمالية أن كلمة يجرب""erfahren قد تعني حرفيا الاكتشاف من خلال الذهاب أو السفر، ولكن من خلال الربط بين""erfahren مع""befahren، يحاول بوبر اقتراح أن الخبرة لا تزال علي الهامش.[2]

وهذا الأمر من الأهمية بمكان، ولقد ساعدنا كوفمان علي فهم"الخبرة" بطريقة أكثر وضوحا وعلاقتها مع الآخر"هو" والتقييم السلبي لها،[3] ولكن الأمر الأكثر أهمية، هو توضيحه"للبقاء علي الهامش" التي تربط بين علاقة"الهو" مع العلاقة القائمة مع الأفراد والأشياء بعمق[*].

وحين تقوم بالقراءة في كتابات بوبر، تكون لديك رغبة دائما في التعرف علي علاقة"الأناوالأنت" علي المستوي الشخصي، وعلاقة ال"الأناوالأنت" في كل العلاقات التي ينغمس فيها الإنسان، وهذا لا يتم، ليس فقط لأنه غالبا ما يتم مراعاة الآخر بموضوعية، ولكن لأن بوبر يصر دائما علي احتمالية الدخول في علاقة حقيقية علي كلا المستويين: الشخصي والعام. بمعني أن احتمالية وجود العلاقة متاح للانسان علي كل المستويات التقليدية للحقيقة ، والطبيعة، والإنسان ، والله، ويتحدث بوبر عن هذه الاحتمالات فيما يتعلق باستخدام اللغة.

1- بين الإنســـــان والطبيعة: تتذبذب العلاقة بين الإنسان والطبيعة وتظل دون مستوي اللغة، فتتحرك الكائنات حولنا، غير أنها ليست قادرة علي الوصول إلينا، رغم أن علاقة الـــ"الأنت" التي نستخدمها تظل ملازمة للغة".[4]

2- بين الإنســـــان والإنسان: "العلاقة واضحة وتتبلور من خلال إطار اللغة، فيمكن التعامل مع الآخر"الأنت" بالأخذ والعطاء.[1]

---

(1) Buber, I and Thou, Kaufmann trans., pp. 55-56.
(2) Ibid., p. 55.
(3) Buber, I and Thou, Kaufmann trans., p. 18).
(*) وبهذا المعنى لا يكون كتاب الأنا والأنت مجرد وصف فينومينولوجي خالص، وهو ما لم يدعه بوبر أبدًا.
(4) Buber, I and Thou, Kaufmann trans., pp. 56-57.

3- بين الإنســـان وعالم الروح: العلاقة غير واضحة، بيد أنها تعلن عن نفسها، فهي تفتقد إلى اللغة غير أنها تخلقها، فنحن لا نسمع فيها كلمة"الأنت"، ومع هذا نشعر فيها بوجود"خطاب" موجه إلينا، ونحن نجيب – بالإبداع والتفكير والفعل، وبكينونتنا نتحدث الكلمة الرئيسية، دون أن نكون قادرين علي قول"الأنت" في كلامنا".[2]

حان الوقت الآن لأن نشير إلي فكرة بوبر عن الحوار مع البشر والله، ويمكننا هنا أن نفكر في مثال القطط والأشجار! فأول مثال للعلاقة مع الآخر"الأنت" (علاقة-الأنت) في كتاب «الأنا والأنت» يخص شجرة، ومثال آخرفي الكتاب سالف الذكر يبدأ بالنظر إلى عيني قط منزلي، وكذا فإننا نلتقي – مع تطور الأمثلة – مع دمية على هيئة دب وقطعة من الحجر.[3]

فما الذي يعنيه الدخول في علاقة حوارية مع احدي الأشجار؟

بالطبع، يمكن لأي منا، حسبما يذهب بوبر، أن يتبني مدخلا تجريبيا نحو الشجرة، فيمكنني مثلًا أن أقوم بوصفها (بدقة، إذا ما كنت أرغب في ذلك)، ويمكنني أن أصور الشجرة صورًا فوتوغرافية أو أمثلها تمثيلًا فنيًا، وكذا فإنه يمكنني بالطبع استخدام الشجرة لمنفعتي الشخصية، ويمكنني أن أُصنِّف هذه الشجرة تحت تصنيف مانع قاطع وفق القانون النباتي والكيميائي والفيزيائي، ومن ثم أدعي أن لدي"معرفة كاملة" عنها. وكل هذا يندرج ضمن نطاق التحدث عن الآخر"الهو It". ولكن يظل هناك احتمال آخر، فأنا يمكنني استيعاب الشجرة في كليتها. وفي هذا السياق يسترسل بوبر:

> ومن الممكن أيضا أن يحدث، توافق بين الإرادة و الفعل حال تأملي للشجرة فأنجذب نحوها في علاقة خاصة، وحينها تتوقف الشجرة عن كونها "هو" It، حيث تتملكني قوة الشعور بالتفرد.
>
> وهذا لا يتطلب مني أن أمتنع عن أي من حالات التأمل، فليس هناك شيء ينبغي علي ألا أراه كي أري، كما أنه لا توجد معرفة بعينها ينبغي علي تناسيها. بل إن كل شيء، الصورة والحركة، والنوع والمثال، والقانون والعدد، جميعها تندرج ضمن عملية التأمل هذه وتنصهر فيها في وحدة لا تقبل التفكك.

---

(1) Ibid., p. 57.
(2) Ibid.
(3) Ibid., pp. 57ff., 145, 78, 146-147.

ويندرج تحت ذلك أيضا كل ما ينتمي إلي الشجرة؛ شكلها وتكوينها، ألوانها وكيمياؤها، ومحادثتها مع العناصر الأخرى ومحادثتها مع النجم- كل هذا في كليتها.[1]

ويعود بوبر ليؤكد أنه حينما يحدث هذا، حتى علي المستوي اللاإنساني،"أكون أنا نفسي مختلفًا، حيث أن (الأنا) في الكلمة الرئيسية"الأناوالأنت" تختلف عن تلك (الأنا) الموجودة في الكلمة الرئيسية"الأناوالهو"، فأنا ككل أتحدث عن الشجرة في كليتها، فأنا لا أري الشجرة كحالة من حالات أي كلي؛ بل بالأحرى أرى العالم بأسره في ضوء الشجرة"[2]. ويضيف في الجزء الثالث من كتابه «الأنا والأنت» قائلا أن"كل علاقة حقيقية (موثوقة) مع أي كائن آخر في العالم تكون علاقة فردية حصرية، ونجد أن"الأنت" في تلك العلاقة تتسم بالحرية وتمضى للأمام لتقابلنا في فرديتها. إنها تملأ قبة السماء- ليس كما لو لم يكن ثمة شيء آخر في الوجود، بل إن كل شيء آخر يعيش في ظلها."[3]

على الرغم من روعة الوصف الأنطولوجي في العبارة الأخيرة إلى أنها تحمل أقوالا مبهمة، حيث يبدو منها كما لو كان بوبر في رؤيته للشجرة بالطريقة التي يصفها، يفترض منظورًا إلهيا مقدسًا، بمعنى أنه يفهم العالم دون أي حدود للمنظور الذي يتناوله به. ومن جانب آخر، فإن من الصعب علينا كقراء لبوبر ألا نقرأ كلماته باعتبارها وصفا لوحدة غامضة (صوفية، على الأرجح) مع ذلك الذي يحدث معه اللقاء، وعلى اية حال فإننا نجده ينكر هذا التعريف في بعض الفقرات الأخرى.

ومنذ أن بدأ بوبر في الكتابة عن الدخول في"علاقة تبادلية" مع الطبيعة غير العاقلة (علي الأقل منذ أوائل عام 1913) وحتى وفاته في عام 1965، فقد عمل جاهدا علي أن يوضح لسائليه المعني الذي كان يرمي إليه، إذ يتضح معني التبادلية والمعاملة بالمثل بالرجوع إلي استخدام الأفراد العاديين للغة. ولكن فيما دون منهج اللغة هذا يظل هذا المفهوم يمثل مشكلة؛ فمثلا في حالة التحدث إلى حيوان أليف يستجيب بطريقته الخاصة لكلامنا نجد أن صعوبة تخيل نوع من"التبادلية" بين الحيوان والإنسان أقل من تلك التي تظهر عند تحدثنا مع شجرة أو حجر. ويقول بوبر في هذا السياق أنه في الحالة الأولي (التحدث إلى الحيوان الاليف)، نكون على عتبة التبادلية، ولكن في الحالة الأخرى يميل"إلى تسميتها بما قبل – العتبة، بمعنى الدرجة التي

(1) Ibid., p. 58.
(2) Ibid, pp. 58-59
(3) Ibid., p. 126.

تسبق العتبة".[1] أما فيما يتعلق بخواص الاستجابة التي يستنبطها المرء عند مخاطبة الطبيعة وردًا على الانتقاد الذي سيوجهه حتما الكثيرون (هل يوجد لدي الشجرة وعي مشابه للوعي الموجود لدينا؟)، يجيب بوبر ببساطة"أنه لا توجد (لديه) خبرة عن ذلك"[2]، وأنهي بوبر الجدل حول هذه المسألة تماما بأن أعاد طبع الحاشية التي أوردها في كتابه «الأنا والأنت» – والتي تتحدث عن"العتبة" و"ما قبل–العتبة".

وحيث أن بوبر يري أنه من الأهمية بمكان فهم تجربته مع الطبيعة، فإنه يذكر مثالا آخر غير مثال الشجرة فنجده يتحدث عن تجربته حال سيره في الصباح الباكر حيث وجد قطعة من مادة عازلة للكهرباء فالتقطها ، وظل ينظر إليها طويلا.

> "وفجأة – هكذا يقول– حينما نظرت بعيدا، أدركت أنني لم أعد أفصل بين"الموضوع" و"الذات"، وحينما كنت أنظر، اكتشفت أنني وهذا الجزء العازل أصبحنا كيانا واحدا، وعند استمرار النظر، تذوقت لأول مرة معني"التوحد"، ثم نظرت مرة أخري، غير أن هذا الشعور بالتوحد لم يعد مرة أخري، ثم شعرت بشيء ما بداخلي كما لو كنت علي وشك أن أقوم بإبداع شيء ما، أغلقت عيناي وحاولت استجماع قواي، وحاولت أن ادخل في ارتباط مع هذا الشيء، ثم رفعت هذا الجزء إلي حيث كان،فقط حينها تولد لدي الشعور أنني كنت"أنا"، وأدركت حينها أن هذا الارتباط يحمل الاسم مثل التاج"[3].

ولمعرفة سمات العلاقة مع "الأنت" بين الإنسان والإنسان، نجد أنها لا تسبب نفس نسبة المشاكل كما هو الحال في العلاقة بين الإنسان والمادة العازلة، غير ان هناك خطر هنا يتجاوز أي سوء فهم أو عدم توضيح، ألا وهو الخطر الموجود دائما والمتبلور في أن الحديث عن الحوار ، والكتابة، والقراءة عن العلاقة بين"الأناوالأنت" يشمل الحديث عن فشلنا في التعبير عن الحقيقة، وكما قال بوبر لكوفمان:"ثمة طرق عدة يمكن من خلالها تجنب حياة الحوار من خلال المناقشات النظرية للمبادئ الحوارية"[4]. وبناء عل ذلك يمكن أن ننظر إلى السمات التالية للعلاقة الحوارية بين الإنسان والإنسان.

1- يمثل اللقاء جزءًا من وحدة متكاملة.

وعند الحديث عن"هو""It"، أنا أرى الأشياء أو الأشخاص من منظور معين أو من زوايا معينة، فيتم الحديث عن ال"الأنت" كجزء من وحدة متكاملة"إذ أن الكلمة الرئيسية"الأناوالأنت"

---

(1) Ibid., p. 173.
(2) Ibid., p. 58.
(3) Cited by Kaufmann in his translation of I and Thou, op. cit., p. 146.
(4) "Interrogation," p. 18.

يمكن الحديث عنها فقط من خلال الفرد ككيان متكامل، بينما لا يمكن التحدث عن الكلمة الرئيسية"الأناوالهو" عن الفرد باعتباره كيان متكامل"[1]، فطالما أن هناك إشارة إلى"الأنا" أو إلى أي جانب من الشخص في العلاقة باعتباري مشاهد، فإنني أظل في دائرة الآخر"هو"، وكنتيجة للانخراط في الحوار تحت مظلة"الأنت"، ينبثق عنصران مهمان" القبول والقابلية"، فيتم تقديم"الأنا" دون أي تحفظ مع الجانب الآخر، ويكون هناك أجواء من القابلية، وعلي النقيض، فإنه في حال رفض أي جانب من الآخر، فإن علاقة الآخر"الأنت" تنهار.

2- اللقاء مع الآخر هو لقاء مباشر.

> ليس هناك وساطة في اللقاء مع الآخر، فلا يتدخل شيء بين"الأنا" و"الأنت"،ولا يوجد معرفة أو خيال مسبق، وحتى أن الذاكرة نفسها تتغير عند الانتقال من الخصوصية إلي الكل، ولا يوجد هدف يتدخل في العلاقة بين أنا وأنت، فلا يوجد طمع أو توقع معين، بل أن الاشتياق نفسه يتغير حين الانتقال من الحلم إلي الظهور، وتعد كل وسيلة بمثابة عقبة، فقط حينما تتفكك كل الوسائل، يحدث اللقاء[2].

ولقد كتب"بول إدواردز"، محرر موسوعة الفلسفة Encyclopedia of Philosophy المتميز، عرضا نقديا (بكل معاني الكلمة) عن بوبر وفلسفته باسم"بوبر والبوبرية" قام فيه بمقارنة مباشرة مع الخبرات التي سردها بعض متعاطي المخدرات، ويستشهد إدواردز بمقالة وردت في النيويورك تايمز (بتاريخ 8 يناير 1968) يسرد فيها عدد كبير من المتحمسين لعقار LSD[3]"رغبتهم في خبرة مباشرة وفورية، فيقولون أنهم قبل تناول المخدرات كانوا يشعرون بأنهم مبعدين ومغيبـــين عن الحياة، ومنغمسين في التفكير، ولكن المخدرات، حسب تعبيرهم، ساعدتهم علي إزالة كل العوائق التي كانت تسد حواسهم[4]. والذي لم يضعه ادوارد في الحسبان هو تقييم بوبر الدقيق لألدوس هكسلي، الذي كان رائدًا في ميدان تعاطي المخدرات، ففي فصل له بعنوان" ما هو مشترك بين الجميع" ورد في كتاب «معرفة الإنسان» يعلمنا بوبر

---

(1) Buber, I and Thou, Kaufmann trans., p. 54.

(2) Ibid., pp. 62-63.

(3) عقار يسبب الهلوسة وهو قوي المفعول ومن آثاره: تداخل الحواس فيعتقد المتعاطي أنه يرى الأصوات (وهذه ميزة خاصة بعقار LSD) والشعور بنشوة زائفة وكاذبة وبتضخم الأشياء في بعض الأحيان (قد تعود للكمية المتعاطاة) لأنها لا تحدث لكل المتعاطين، وهلوسة سمعية وبصرية (قد يعتقد المتعاطي بأن لديه أجنحة) فيقفز من مكان عال، وأحاسيس ومشاعر كاذبة (غير موجودة) مثل الشعور بالحب والعطف والحنان أو عكسها رغم عدم وجودها. ويتضح من تلك الآثار الحالة التي يقصدها إدواردز هنا.

(4) Edwards, op. cit., p. 6.0

الفرق بين الهروب من العلاقة، والحقيقة الواقعة، والالتزام، والمسئولية ، وفي هذا الصدد، نجده يقول:

إن"الأجازات الكيمائية"[1] التي يتحدث عنها هكسلي هي أجازات ليس فقط من الأنا التافهة ضيقة الأفق، المنشغلة في آلية تحقيق أهدافها، بل وأيضا من الشخص الذي يشترك في مجتمع اللوجوس والكون- أجازات من بطاقات التذكير غير المريحة التي تثبت حقيقة أن المرء هو ذلك الشخص.[2]

وفي إشارة أبعد إلي محاولة هكسلي الهرب من الموقف الحاضر غير المريح، يقول بوبر:

إن الهروب من الموقف إلي اللاموقف يعد أمرا غير مشروع بالنسبة للإنسان. والاسم الحقيقي لكل الجنات التي يخلقها الإنسان لنفسه من خلال الوسائل الكيميائية أو غيرها هي"حالة اللاموقف Situationlessness"، فتلك تمثل وضع"اللاموقف" تماما مثل حالة الحلم ومثل حالة الانفصام في الشخصية، وذلك لأنها في جوهرها ليست طبيعية، في حين أن كل موقف، حتى موقف أولئك الذين يدخلون في حالة من العزلة يندرجون ضمن مجتمع اللوجوس والكون.[3]

3- فيما يتصل بعلاقة"الأنت"، ثمة حرية قائمة.

يعبر بوبر عن هذه المقولة كما يلي:"طالما أن هناك حديث عن ال"أنت"، فإن هناك أجواء من الحرية في كل مكان"[4]، ولهذا نجده يتخطي الجسر الضيق في العلاقة بين الإنسان والإنسان، وهنا لا تحدث الأشياء ومن ثم فإنه لا توجد فرصة لظهور العلاقة التي تربط بين الأشياء في العالم، وفي نطاق"البينية"، نجد أن الاحتمالات قائمة وغير متوقعة، إذ ان التنبؤ يدل علي ذكر الأشياء، ومعني التنبؤ هو وجود نظرة"موضوعية" عن "الأنت" والتي أعتبر فيها جزءًا كجزء من العالم بموجب قوانين الأشياء، وفي هذا عودة إلى"هو"، يعبر عنها وايشوجرود بقوله: في اللحظة التي يتم فيها حساب ردود الأفعال الخاصة ب"الأنت"، تكون هي نفس اللحظة

---

(4) يقصد بوبر بالإجازات الكيميائة ، الأجازات التي يأخذها قصرًا من يتعاطى المخدرات هربا من الواقع

(2)(Buber) Martin, "What is Common to All," The Knowledge of Man: A Philosophy of the Interhuman, trans. Maurice Friedman and R. G. Smith, (New York; Harper Torchbooks, 1965), p. 100.

(3) Ibid.

(4) Buber, I and Thou, Kaufmann trans., p. 59.

التي يسأل فيها"الأنا" نفسه عن الانطباع الذي يؤثر فيه الكلام والكينونة عليه، أنها ترتبط "بالهو" بدلا من"الأنت"[1].

4- "الأنت" لا يمكن وصفها.

ما أعرفه عن"الأناوالأنت" هو كل شيء، حيث أن"الأنا" تُخاطَب"الأنت" كوحدة متكاملة، ولكن في الوقت ذاته، ما اعرفه أنا عن"الأنت" هو لا شيء، حيث أنه لم يتم تجربة"الأنت" في شيء بعينه.[2]... فلا توجد مقارنة، فلا يمكن تقصي علاقة "الأنت"، وإذا حاولت ذلك، فإنك ستفقدها.[3] وها نحن قد وصلنا إلى نقطة غريبة مرة أخري، وهي أن بوبر قد قضي حياته المليئة بالإبداع والعبقرية في وصف شيء نعرف الآن أنه لا يمكن وصفه! وقد أصبحت هذه النقطة الآن مثار نقد واسع بين منتقديه، ففي المحاضرة التي أشرنا إليها، يقول دكتور ادواردز:

> يتضح ارتباك بوبر هنا إلى حد كبير، حيث أنه ليست علاقة"الأنا بالأنت" هي التي لا يمكن وصفها فحسب، بل ان بوبر قد قضي وقتا كبيرا من حياته وبذل مجهودا مضنيا في محاولة منه لوصف هذه العلاقة وفي معظم الأوقات كانت مجهوداته ناجحة.[4]

والواقع انه فيما يتعلق بالحكم علي بوبر، نجد ان أصدقاءه قد دافعوا عنه كثيرا، وقد كتب"جابرييل مارسيل" الذي اكتشف علاقة الأنت في نفس التوقيت الذي تحدث فيه بوبر عنها يقول: أن اللغة نفسها تؤثر علي الانتقال من الأنت إلي الهو.

> "حينما أتحدث عن الأنت، حتى عندما أعلن أنك لست مجرد شيء، وانك علي العكس من هذا الشيء، فإنني أردك علي الرغم مني إلى الشيء، إذ أن الأنت / تصبح هو".[5]

غير أن بوبر لم يرض عن هذه التركيبة.

> "حينما يستخدم الفرد تعبير"الأنت" والذي يعد غريبا على الكلام الطبيعي، فإن الفرد لا يعني الإنسان الحقيقي الذي أقول له أنت، ولكن أعني الكلمة التي أستخدمها لأعبر بها عن "الأنت"، ولا يحدث هذا في حالة الإشارة الي "الأنا".. ولكن إذا قلت"الأنت" فإنني أعني شيئا ما كأن أقول"الأنا" لنفسي.[6]

---

(1)(Wyschogrod) Michael, "Martin Buber", Encyclopedia of Philosophy, Vol. I, p. 410.
(2) Buber, I and Thou, Kaufmann trans., p. 61.
(3) Ibid., p. 83.
(4) Edwards, op. cit., p. 19.
(5)(Marcel) Gabriel, "I and Thou," The Philosophy of Martin Buber, op. cit., p. 44.
(6) Buber, "Replies," p. 705-706.

وبمعني آخر، يجد بوبر أن من المناسب الحديث عن اللاوصف الخاص"بالأنت" بلغة"الهو"، وفي سياق آخر، يقول أن هذا يتلاءم مع تجربتنا، فهناك مثلا معرفة تجريبية عن النحافة لا يعرفها بعض الأطباء.. رغم أنه قد يكون لديهم خبرة عن النظام الغذائي ومن الممكن أن تتوفر لديهم المهارة في الاستشارة الخاصة بالموضوع. كذلك نستطيع في هذا الصدد ان نذهب الى ان مستشاري الزواج العذري لا يتحدثون عن التناقض المنطقي الموجود في بعض ملاحظاتهم بين ما يقولون، وحقيقة ما يقولون ولذا فإنه من المتوقع أن يكون لدي مستشاري هذا النوع من الزواج معلومات عن"التوافق الجنسي" أكثر من الأشخاص الذين لا تتوافر لديهم الخبرة ، غير أنهم لا يعرفون حقيقة هذا التوافق، ولا ينكر بوبر أن معرفته عن "الأنت" تظل في حقل"الهو". (والتي تعبر عن نفسها من آن لآخر في صيغة"الأناوالأنت"، والتي تتحول إلي معرفة فقط من خلال ال"الأناوالهو").[1] غير أن"الأنت" تظل غير قابلة للوصف.

5- علاقة اللقاء مع الآخر تلقائية.

إن العلاقة مع الأخر لا يتم تصنُعها، بل تكون وليدة اللحظة، ولا يمكن البحث عنها، فهي، على حد تعبيره، نعمة.[2] والسبب وراء هذا هو أن الجهود المتعلقة ببذل المحاولات (على سبيل المثال محاولة إنتاج علاقة لقاء) تنبثق من جزئيتي لا من كليتي."وأي فعل خاص بالكينونة ككل لابد وأن يقترب من السلبية، ذلك لأنه ينفي كل الأفعال الجزئية actions ومن ثم ينفي إحساسي المتعلق بالفعل، وهو الأمر الذي يعتمد دائما على المحاولات المحدودة." وفي هذا السياق نجد وصفا مهما من بوبر – والحق أنه واحد من عدة توصيفات- يتعلق بتلقائية المشاركة، وهو يندرج ضمن أكثر الأجزاء الرائعة التي كتبها عن التلقائية، وذلك في الجزء المسمى"بالأفق المستقبلي" في فصله المهم"ما هو الإنسان؟"، حيث يقول:

> "في الزحام الشديد الذي يحدث داخل مخبأ للغارات، تلتقي نظرات الأفراد الذين لا يعرفون بعضهم البعض في ذهول و عاطفية متبادلة وغير متفق عليها وذلك ربما للحظة واحدة، وحالما تنتهي أصوات الغارة، ينتهى كل شئ ويُنسى؛ إلا أن هذا لا ينفي أنه قد حدث، في عالم إنساني كان موجودًا منذ قليل.[3]

وسوف نعود إلي هذا الموضوع في الفقرة (هـ) من هذا البحث وعنوانها (الحـوار) حيث نراه بصورة معدلة؛ حيث سنرى أن كل الانواع غير تلقائية، فعلي سبيل المثال، فإننا نجد أن

---

(1) Ibid., p. 692.
(2) Buber, I and Thou, Kaufmann trans., p. 62.
(3) Buber, "What is Man?" Between Man and Man, p. 204.

الحوار في التعليم عبارة عن حوار يتم التحكم فيه من قبل المسئولين، ونجد أن اللقاء يكون تلقائيا فقط في بعض النقاط دون البعض الآخر.

6- إن العلاقة بين الأنا والأنت تتسم بسمة الحضور في حال مقارنتها مع الأشياء المتأصلة في الماضي.

الأشياء لها تاريخ، والعلاقات تحدث، ونجد أن عالم الخبرة والاستخدام هو عالم الوقت المنصرم. والأشياء التي نطلق عليها اسم"الهو It" ينبغي التحدث عنها باعتبارها ماض."وطالما أن الإنسان يقبل مضطرًا الأشياء التي يختبرها ويستخدمها، فإنه يحيا مع الماضي".[1] وفي هذا السياق، فإن لفظة"اللحظة" لا تتسم بخاصية الحضور، ذلك لأن اللحظة تمثل نقطة نهاية لسلسلة من الوقت المنتهي. وعلي النقيض، فإن العلاقة ليس لها ماض. وحينما نتحدث عن العلاقة ونستخدمها في زمن الماضي، فإن هذا يعني العودة إلى"الهو".

وهناك العديد من الطرق للتعامل مع الأشياء غير العادية التي قالها بوبر عن الزمان، فيقول دكتور إدوارد حيث أن بوبر استخدم"الماضي" و"الحاضر" بطريقة تختلف عن الاستخدام العادي، فإن ما فعله هو محاولة تقديم"إعادة صياغة مقنعة لتعريف" هذه الكلمات، وإلا فإن استخدامه سيكون خطأ وغير ملائم[2]، وبطريقة أكثر إيجابية، فإن المرء يستطيع أن يفترض أنه علي الرغم من إنكار بوبر، فإن مارسيل قد نجح في التعبير عن وجهة نظر بوبر وكذا وجهة نظره في قوله أن اللغة نفسها تؤثر الانتقال إلى"الهو"، وإذا كان هذا صحيحا، فإن هذا سيوضح السبب. وبالنسبة لبوبر، فإن العلاقة ليس لها تاريخ، ولا يعود ذلك إلى أنها لم تحدث قط، بل لأن وصف حدوثها أو تسجيلها في لغة معينة من شأنه أن يكذب العلاقة القائمة.

7- اللقاء بين الأنا والأنت قائم على العلاقة التبادلية.

تؤثر"الأنت" الخاصة بي عليَّ مثلما توثر"الأنا" علي"الهو"، فنحن نتعلم من طلابنا وأعمالنا ومن خلال ما نتعلمه تتشكل آراؤنا، ونتعلم ايضا كيف يتحول"الأشرار" إلي أناس خيرين إذا ما تعاملوا مع الكلمة المقدسة الأساسية. واخيرا فإننا نتعلم من الاطفال ومن الحيوانات اننا نعيش في اجواء من تبادل المنفعة.[3]

---

(1) Buber, I and Thou, Kaufmann trans., p. 63.
(2) Edwards, op. cit., pp. 12-18.
(3) Buber, I and Thou, Kaufmann trans., p. 71.

ومن الجدير بالذكر أنه علي الرغم من أن بوبر يعتبر أن الحوار يعتمد علي العلاقة المتبادلة، إلا أن أصحابه هنا أيضا قد علقوا علي هذا، فنجد علي سبيل المثال، أن كارل روجرز وهو يعمل طبيبا يري انه في التعليم والعلاج النفسي، يمكن أن تكون العلاقة أكثر من كونها متبادلة كما يعتقد بوبر.[1]

إن العلاقة الحوارية التي تحدثنا عنها في النقاط السبع السابقة تقتضي وجود الإقصاء بصورة منطقية، ومن حيث الترتيب، نجد أن العلاقة تأتي أولا ثم تشير إلى العلاقة الأصلية مع كل الوجود[2]."في بداية العلاقة"[3]. والظواهر التي تدعم بوبر في هذا الصدد هي: (1) الحياة واللغة الخاصة بالشعوب البدائية (التي تسبق عصر التكنولوجيا)، (2) خبرة الأطفال.. إذ أن علاقة الأفراد في المجتمع البدائي تسبق كل علاقات البشر في كل جوانب الحياة... إنها تمثل -في الواقع- الزيادة في قوة العلاقة التي نقوم بتصميمها ابتداء من المجتمع"البدائي" وحتى المجتمع " المتقدم"، وكذا فإن الطفل له علاقاته الخاصة به" إن حياة الطفل عبارة عن ارتباط طبيعي"[4]، ومن هذا"الارتباط الطبيعي" ينبثق الشخص الناضج الذي يستخدم علاقة"الأنا والأنت"، وهكذا، سواء كنا نقوم بدراسة تاريخ الفرد أو تاريخ الجنس، فإننا نجد أن علاقة"الأنا والأنت" تسبق كل العلاقات، انها العلاقة التي تحدثنا بقوة عن سمات العلاقة البدائية لكل الأفراد.

د- الجسر الضيق

ما بين الإنسان والإنسان يطلق عليه اسم العلاقة، سواء أكان ذلك من خلال لقاء معه أو من خلال تجربة له، وإن مكان اللقاء المتاح للبشر هو"البينية"، ويفضل بوبر أن يطلق علي هذا المسمي اسم"الجسر الضيق"..."فهناك في البينية لا يوجد إحساس بالأمان ــاو بمعنى اصح- "شعور بعدم الأمان المقدس" ــ وهو شعور ينطبق علي معتقدات المرء وعلي أسلوب الحياة الخاص به[5]. وهذا ما يسميه بوبر باسم الجسر الضيق وفي هذا، يقول:

> لقد أردت... أن أعبر عن عدم ارتياحي في الاستقرار علي نظام يشمل سلسلة من العبارات الأكيدة حول المطلق، ولكني أفضل الاستراحة علي

(1) (Buber) Martin, The Knowledge of Man, op. cit., pp. 166-184.
(2) Buber, I and Thou, Kaufmann trans., p. 71.
(3) Ibid., p. 69.
(4) Ibid., p. 76.
(5) Aubrey Hodes, Martin Buber: An Intimate Portrait (New York: The Viking Press, 1971), p. 56.

مجموعة الصخور التي لا يكون فيها كل شيء مطلق وأكيد. ويظل التأكيد علي اللقاء غير مفصح عنه.[1]

وردا علي تساؤلات"هـــود" حول معني الجسر الضيق، فإن بوبر يقول:

إذا كنت تحب، يمكنك أن تفكر في الجسر الضيق باعتباره منطقة توجد بداخلك ولا يمكنك لمسها. ومن أجل ألا نفقد علاقة"الأنا والأنت"، ينبغي أن نحدد مكاننا علي الجسر الضيق. وإذا سألتني عن تعريف أكثر وضوح، فإنني سأجيب بقولي:"إن الجسر الضيق هو المكان الذي يتم فيه اللقاء. وهو أيضا المكان الذي يلتقي فيه الفرد مع الآخرين في المجتمع".[2]

يظهر الجانب الابستمولوجي للجسر الضيق في أنه لا يدعي المعرفة المنظمة في يقينية دوجماطيقية. فهو أيضا يصف هشاشة علاقة"الأنا والأنت" نفسها. وما تمت الإشارة إليه في مأوى الغارة الجوية[3] انما يمثل سلسلة تتكرر بصورة مستمرة، غير أنه لا توجد علاقة آمنة مع"الأنت"، ويقول بوبر" من المؤسف أن كل "الأنت" في عالمنا تتحول إلى"الهو"[4]. وحتى الحب الذي يبدو أنه قادر علي التحمل يكون دائما في حالة تغير مستمرة، وهذا يوضح شيئا هاما بالنسبة لفكر بوبر أنه علي الرغم من صعوبة وندرة وصف"الأنت" كما نحددها، إلا أن هناك شيئا ما يمكن الحفاظ عليه، ألا وهو ما نتوقعه من"الأنت" وأسلوب الحياة الذي نتلقاه من "الأنت".

"الهو" تشير إلي"الشرنقة"، و"الأنت" تشير إلى"الفراشة" وغالبا ما تشير إلي سلسلة من الأحداث المتشابكة المزدوجة.[5]

ولكن لم؟.. هذا السؤال يمكن أن يطرحه أي شخص. فإذا كانت"الأنت" سامية ومقدسة بهذا الشكل ولا يمكن وصفها وأنها غير آمنة ومحاطة بالخطر، فلم الضيق؟ وحيث أنه من الممكن البقاء في الجانب الآمن من الخبرة، فلم التعرض للخطر وعرض نفسي علي الآخرين دون أي تحفظات؟

إن النطق بكلمة"الأنت" عبر الأحبال الصوتية للمرء لا يعني بأي حال من الأحوال التحدث عن هذه الكلمة، بل إن الهمس بهذه الكلمة بحب في داخل

---

(1) Buber, "What is Man?" p, 184.

(2) Hodes, op. cit., p. 57.

(3) أنظر ما ذكرناه في (5- تلقائية اللقاء مع الأخر)

(4) Buber, I and Thou, Kaufmann trans., p. 68.

(5) Ibid., p. 69.

روح الفرد لا يعني أنها أصبحت أقل خطرا طالما أنه في الحديث الجاد، لا يعني المرء شيئا سوي التجربة والاستخدام.[1]

والواقع ان هذه الطريقة في طرح الأسئلة تجعل من الواضح أنه لا يوجد أمامنا سوى طريقتين فى الوجود، إحداهما"جيدة" والأخرى" أقل جودة".. والحق ان الانسان – فيما يرى بوبر– لا يظهر إلا من خلال العلاقة المتبادلة مع الآخرين.. ومن خلال هذا المعني، يظهر أن"الذي يعيش بـــ(الهو) فقط ليس (إنسانا)".[2] وهذه هى الطريقه الجيدة فى الوجود، وعكسها هى الطريقة الأقل جودة.

هـــ – الحـــــوار

ما يحدث بين الإنسان والإنسان هو"الحوار"، ولكن ليس كل ما يبدو"حوارا" يكون كذلك، وأحيانا يحدث"الحوار" في صمت مطبق.

هناك"حوار حقيقي" يتضمن الاتجاه نحو الآخر بنية عمل علاقة متبادلة، ويمكن عمل هذا من خلال اللغة، وقد يحدث دون أن ينبس ببنت شفة، وينبغي التمييز بين"الحوار الحقيقي" و"الحوار النفسى"، وهو سمة تميز الحياة في العالم الحديث، وهو مطلوب لتبادل المعلومات التي تتخطي حدود"الأنا والأنت" وكذا"الحوارات الفردية" التي تأتي في صورة"حوار مع النفس"، وفي هذا النوع،" يلتقي الأفراد مع أنفسهم في نقطة معينة من الفضاء كل يتحدث مع نفسه ويتخيلون أنهم قد هربوا من شبح الرجوع إلي الواقع.[3].. ويُعد"الحوار الحقيقي" نقطة تحول جوهرية للفرد ككل تجاه الآخر، و"الحوار النفسي" عبارة عن"انعكاس" لما يدور بالداخل.[4]

وفي"مذكراته الذاتية"، كتب بوبر عن نقطة تحوله فيما يتعلق بحياة الحوار.. وقام بسرد قصة وقعت أثناء الحرب العالمية الأولي حينما كان بوبر نفسه في نهاية الثلاثينيات من العمر[5]، وقام بسرد القصة من خلال إيضاح أنه حتى هذا الوقت من كتابتها كان هناك تمييز كبير بين"الحياة الدينية" و"الحياة العادية".

> ما حدث أنه في أحد الأيام، بعد مرور صباح من الحماس"الديني"..جاء شاب لا أعرفه في زيارة لي، غير أنني حاولت أن يكون اللقاء وديا، ولم أعامله فى هذا الصدد بطريقة تبدو أكثر من زملائه الذين كانوا معتادين زيارتي من آن لآخر. تحاورت معه باهتمام وحاولت أن أخمن الأسئلة التي لم

(1) Ibid., p. 85.
(2) Buber, I and Thou, Smith trans., p, 34.
(3) (Buber) Martin, "Dialogue," Between Man and Man, op. cit., p. 19.
(4) Ibid., p. 22.
(5) For the setting of this incident, see Hodes, op. cit., pp. 9-11.

يطرحها، وفي وقت لاحق، علمت من أحد أصحابه محتوي هذه الأسئلة، وعلمت أنه- أى هذا الشاب- قد جاء إلى من لوح القدر ليس من اجل الحديث ولكن لاتخاذ قرار، لقد أتي إلى في هذه الساعة في حالة من اليأس ومع هذا أتى إلى ، وهذا يعني أن هناك مغزى وراء ذلك.[1]

لقد حاولت أن أتحدث معه بصراحة..وكنت متعاطفا معه..وحاولت الإجابة علي أسئلته التي طرحها علي، ومع ذلك فقد فشلت فى أن أري ما وراء هذه الأسئلة التي طرحها.[2] وكانت النتيجة أن الشاب تخلص من حياته... واتضح لى - فيما بعد- انه كان يسعى من وراء أسئلته الوصول الى قرار.. وقد نفذه.!.. ومنذ هذا اليوم تغيرت حياة بوبر، فلم يعد يفصل منذ ذاك الوقت"الحياة الدينية" عن"الحياة اليومية"، واصبحت هناك طريقة جديدة للاستماع اليه، وذالك على اعتبار أن الحوار الحقيقي يتضمن الاستماع الجيد، وفي هذا السياق يتحدث أحد المحللين عن بوبر قائلا:

إن الفرق بين"الاستماع غير الحقيقي" و"الاستماع الحقيقي" يتمثل في أنه فى الاستماع غير الحقيقي، يتظاهر الفرد بالاستماع، وما يسمعه يتحدد من خلاله معرفته الماضية بالشخص الذي يستمع له أو النظريات التي تخص هذا الإنسان. وفي"الاستماع الحقيقي"، نجد أن الفرد لا يعرف ما سيسمعه..ولا يكون لديه حكم مسبق عما يسمعه.[3]

إن كيفية إنصاتنا للآخرين وكيفية إعداد أنفسنا للحوار يمكن فهمها على أنها الطريقة التي ندرك بها الآخرين، ويسرد بوبر أنماط ثلاثة من الإدراك نحكم من خلالها علي الآخرين[4]. وتشتمل هذه الأنماط الثلاثة علي 1- موقف الملاحظ ذو النمط التحليلي الذى يقوم بسرد العديد من السمات قدر الإمكان"[5]. 2- موقف المشاهد الذى يكون أقل تدقيقا، فهو يرقب السمات البارزة في المتحدث، وهذا هو سلوك الفنانين العظماء. 3- أكون في حالة وعي لكل ما يتم استقباله، وذلك في حال الوجود الفعلي للطرف الآخر"وطرحه لبعض النقاط.[6]

إن القدرة علي وجود"حوار حقيقي" تقل نسبيا مع زيادة قدرتنا علي التحكم في العالم من حولنا واستخدام العالم من حولنا لتحقيق رفاهيتنا..فما يكون جوهريا للرفاهية العامة في العالم

---

(1) Buber, "Dialogue, " pp. 13-14.
(2) Hodes, op. cit., p. 10.
(3) Wyschogrod, op. cit., p. 410.
(4) Buber, "Dialogue," pp. 8-10.
(5) Ibid., p. 8.
(6) Ibid., pp. 9-10.

قد يكون مصدر تدمير لكياننا كأفراد، وقد فهم بوبر هذه الحركة باعتبارها عملية تاريخية طبيعية.. ولكنها لا تتضمن تسلسلا منطقيا، وفي هذا الصدد، فإن فلسفة بوبر تشع بالتفاؤل فيما يتعلق باحتمالية وجود علاقة إنسانية حقيقية، ليست بعيدة عن عالم "الهو"، ولكن ضمن حدوده.

ما يحدث بصورة مستمرة في تاريخ الفرد والجنس البشرى هو المواجهة المتمثلة فى الحرب علي الغير أو"الهو"، وفى أتون تلك الحرب تتولد الخبرات العميقة، وتتسع المعرفة بالعالم، ويتطور التراث الأدبي، وينمو التركيب السياسي والاقتصادي اللازم لحياة المجتمع والذي يبدوا ضروريا لتوسيع حياة المجتمع، ولسوء الحظ،"فإن تطوير القدرة علي التجربة والاستخدام يتضمن تقليل قوة الإنسان علي عمل علاقات".[1]

هل يعني هذا أن مفتاح النجاح هو تقليل نمو الآخر أو"الهو" أو الدفاع عن إلغاء التركيبات اللاشخصية للحياة الحديثة؟ لا علي الإطلاق! فقط حينما استسلم تماما للأخر"الهو"، يكون هناك تهديد لمصالحي. ولا يكون الحل متمثلا فى إعطاء أولوية إما للأفراد أو للمؤسسات، ولكن الأولي الحفاظ علي الأفراد داخل المؤسسات.. وليس التحدي في التقهقر بعيدا عن العالم أو محاولة تغييره، ولكن التحدي يكمن في إبقاء العالم كما هو ومحاولة عمل علاقات معه دون تغيير.

وفي حديث له ألقاه فى قاعة كارنجي (بعنوان «الأمل في هذه الساعة») عام 1952، عبر بوبر عن اعتقاده بأن"مستقبل الإنسان باعتباره إنسانا يعتمد علي إعادة ميلاد"الحوار" من جديد"[2]. غير أن إعادة الحوار من جديد تواجه صعوبة اليوم: صعوبة تتخطي حدود نمو الاخر"الهو"، وقد أطلق بوبر علي هذه الصعوبة اسم"عدم الثقة بصورة رئيسية"[3]، فقد تعلم الأفراد عدم الثقة بالآخرين، ولكن هناك اليوم مفهوم جديد من مفاهيم"عدم الثقة". يقول بوبر:

> " في زمننا هذا تم إضافة جزء جديد مختلف من مفاهيم عدم الثقة، الأمر الذي يقوض بدوره العلاقة بين البشر، فلم يعد المرء فقط يخشي من الآخر، بل أصبح متأكدا من ذلك، وان الاختلاف بين رأيه وعباراته وبين عباراته وتصرفاته لم يعد دليلا علي نيته، بل أصبح أمرًا ضروريا، وأصبحت مهمتي الرئيسية مع الأفراد الآخرين تزداد مع الوقت، سواء فيما يتعلق بالنفس البشرية أو فيما يتعلق بالناحية الاجتماعية، وفي الحالة التقليدية، فإن هذا يعني

---

(1) Buber, I and Thou, Kaufmann trans., p, 92.
(2) (Buber) Martin, "Hope for this Hour," Pointing the Way, trans. and ed. Maurice Friedman, (New York; Harper and Row, 1957), p, 222.
(3) Ibid.

قناعا قد تم وضعه لخداعي ولكن تم استخدامه ضده دون أن يدري، فما تم خداعه هو نفسه وضميره.[1]

ويعزو بوبر هذا الاتجاه الجديد إلى"معتقدات فرويد"، و" المعتقدات الماركسية" الخاصة بالإنسان، ومهما كان مصدرها، فإنها تؤدي إلى لعبة خطرة في التواصل بين الأفراد- وهي لعبه تهدد بتدمير صلاحية اللغة أو أسوأ من هذا" بل إنه من الممكن أن نري في المستقبل درجة من انعدام" الثقة الوجودي" حيث يتحول الكلام إلي حماقة والمعاني إلي جنون"[2] وليس هذا شكا في الآخر ولكن انعدام ثقة في الوجود بصفة عامة.[3]

وفي مواجهة هذا الخطر، ينبغي إيجاد سبل للقضاء علي انعدام"الثقة الوجودي".. والواقع ان انجذاب بوبر لما نعتبره"انثروبولوجيا فلسفية" يبدو هنا واضحا، ولهذا نجده يضيف قائلا أننا لا نجرؤ على السماح بوجود اكتشاف جديد خاص بالإنسان يمكن اعتباره الحقيقة كلها، بل الأحرى،"ينبغي فحص العناصر المكتشفة حديثا من ناحية اهميتها فيما يتعلق بالعناصر الأخرى التي يتم معرفتها واستخراجها[4]. إن النظريات الإيديولوجية عن الإنسان، مثل نظريات ماركس ونظريات فرويد، تفسر الإنسان تمامًا فى اطار الأيديولوجية:

> ولكن علينا أن نتخطي هذا الموقف من خلال صياغة معايير وحدود أخري خاصة بالجانب النقدي الأيديولوجي: معايير وحدود لا يتم فيها رؤية الإنسان وحده، بل يتم فيها إدراك الإنسان من كل الجوانب من حيث صراحته وإخفاؤه للأمور وعلاقاته مع الآخرين، ونأمل في أن نكون قادرين علي الثقة به (أى الإنسان)، ليس بدون وعي ولكن عن إدراك وتمييز..نأمل في أن تتوافر لدينا القدرة علي إدراكه بوضوح وكليا وأن يتوافر لدينا الإدراك المناسب لشخصيته دون تحيز لأي خلفيات،وذلك بنية القبول والتصديق والتأكيد على إمكانية قبول هذا الإدراك.[5]

من خلال الجرأة والقيام بهذه المبادرة من الاستقبال والتفاعل مع الآخر، فإننا نأمل في إعادة فتح باب الحوار من جديد. والحق انه ينبغي القضاء علي دائرة انعدام الثقة وتبني دائرة الصلح من جديد،"إذ أن الصلح يؤدي إلي صلح."[6]

---

(1) Ibid., p. 223.
(2) Ibid., p. 224.
(3) Ibid.
(4) Ibid., p. 226.
(5) Ibid., p. 227.
(6) Ibid., p. 229.

و- التحول أو العـــودة

بالإضافة إلي التوصيات التي تلقيناها فيما يتعلق بتعجيل كل ما يتعلق"بالأنت"، إلا أن هناك مطلبا رئيسيا يتعلق بإمكانية حوار حقيقي، هذا المطلب يتضمن"التحول". وعند الوصول إلي هذه النقطة، من المستحيل متابعة بوبر بنفس طريقة تفكيره، إذ أن نظريته المتعلقة بالتحول إزاء الآخر"الأنت" ترتبط بالمفهوم اللاهوتي والمفهوم المسيحي من التحول من حياة الشر إلي طريق الخير..ويعتمد علي المحتوي آنذاك.

في التوراة المكتوبة باللغة العبرية، والتي أعد منها بوبر بنفسه ترجمة إلى اللغة الألمانية، نجد أن كلمة bWv تكررت 600 مرة بمعنى"يتحول ثانية" أو بمعني"يعود ثانية" أو بمعنى"يتحول"، وتشير النصوص التالية إلي السياق الفكري لبوبر نفسه.

> لو أن قومي، الذين يسمون باسمي، يتواضعون ويصلون ويتخلون عن طرق الشر التي يتحلون بها، إذن فسألبي نداء السماء وأغفر لهم تقصيرهم وأسامحهم.[1]

> فليترك كل فرد الشر الكامن بداخله وليرجع عن العنف الذي يتبناه، من يدري عل الإله يتوب علينا ويتخلي عن غضبه علينا ورغبته في إفنائنا؟[2]

> وقال(يهوه) منذ أيام الأسلاف، وقد بعدت عن أوامري ولم تحفظها، فعد إلي وأنا أعود إليك.[3]

إن ترجمة بوبر لكلمة hb*bWv إلى Umkehr (وهي تعني"التحول") تعني أن بوبر نفسه كان حريصا علي حماية المفهوم العبري عن تحول الإنسان كله من الحالة التي يعتبره فيها من التداخل مع المفهوم المسيحي الذي يختزل العملية إلى مجرد توبة من خلال الإيمان بالمخلص. وفي الواقع، يبدو أن حجته كانت أبعد مما يجب وأنه كان على خطأ، حيث قال، علي سبيل المثال، في كتابه «نوعان من الإيمان»"إن المترجم اليوناني قد أحدث خلطًا بين هذين المفهومين".[4]

علي أية حال، من الواضح أن بوبر يعني بالتحول أن المفهوم الرئيسي في الفكر اليهودي القديم يرى أنه يمكن للإنسان في أي وقت أن يغير طريق الشر الذى هو عليه إلى طريق

---

(1) II Chron. 7:14. ASV.
(2) Jonah 3:8-9. ASV.
(3) Mal. 3:7. ASV.
(4)(Buber) Martin, Two Types of Faith, trans. Norman Goldhawk, (New York: Harper Torch books, 1961), p. 26.

الخير، وفي كتابه «طريق الإنسان وفقا لتعاليم الحصيدية»، يحدد بوبر المعني الحقيقي للمفهوم الديني للتحول والذي يقول عنه أنه"يكمن في منتصف المفهوم الديني لطريق الإنسان".[1]

> ان التحول يعني تجديد الإنسان من الداخل وتغيير موقفه من العالم، من خلال تجنب الخطيئة، و يعنى التحول هنا ايضا شيئا أكبر من مجرد التوبة، فالإنسان الذي يغرق في خضم الأنانية ويكون هدفه في حياته هي نفسه فقط، يجد لزاما عليه بفضل فعل التحول أن يتحول ليؤدي الهدف الذي من أجله خلق. وهذا يحدث مع من يعتقد أن أفعاله ليست كافية للوصول، بل عليه أن يبذل طاقته للعودة.[2]

يقول بوبر" تعني العودة لي إذن تحقيق كل ما يتسنى لي الوصول إليه فعلي كل إنسان تقصي السبيل الذي يقوده قلبه إليه بكل ما يستطيع من قوة"[3]، وهذا لا يعني أن أتقهقر بعيدا عن العالم وأنني لا أغير نظام حياتي، ولا يعني هذا ايضا أن أتبع أي نظام مفروض علي من الخارج. إن العودة تحدث حيثما أقف.

> " يتحقق لدي معظمنا في بعض اللحظات إدراكا واضحا بأننا لم نتذوق طعم الوجود قط، وأن حياتنا لا تسير علي ما يرام، وأننا لا نحقق الهدف من وجودنا، ولذا فإننا نشعر بالتقصير في كل لحظة، وفي بعض الأحيان نحاول جاهدين أن نبحث عن الأفضل في مكان ما في ذهننا، وهنا فقط يمكننا الوصول إلي هذا الأفضل".[4]

وهناك فقط يتولد بداخلي معني العودة وما يطلق عليه اسم"توحد الروح"، وتوحد الروح هذا يمكن مقارنته مع ما يسمى"بطهارة القلب"، أو العودة إلي ما يطلق عليه اسم"توحد الذهن"، ويعد مسمي توحد الروح بمثابة حل للصراع في الفكر ، والكلام ، والأفعال.

وكل هذا يؤثر بدوره علي الإمكانيات الخاصة بالفرد:" فإذا استطاع الإنسان أن يحقق السلام الداخلي، فإنه يمكنه آنذاك تحقيق السلام علي المستوي العالمي"[5]، وأي صراع مع الآخر"الهو" ينشأ من صراع المبادئ الثلاثة:الفكر، والكلام ، والأفعال الخاصة بنا، ويعبر عنها بوبر عن ذلك بكل وضوح بقوله" أن أصل النزاع بين بني البشر ينشأ من أنني أفعل ما لا أقول وأقول ما

---

(1) (Buber) Martin, "The Way of Man According to the Teachings of Hasidism," Religion from Tolstoy to Camus, ed. Walter Kaufmann (New York: Harper and Row, 1961), p. 437.
(2) Ibid.
(3) Ibid., p. 429.
(4) Ibid., p. 439.
(5) Ibid., p. 435.

لا أفعل"[1] (ويمكننا في هذا الصدد الإشارة إلى ما قاله باسكال بأننا إذا عرفنا ما قلناه علي بعضنا البعض، فلن يكون هناك أربعة أصدقاء في العالم!)

لذلك فإن الاعتراف بالآخر"الأنت" ليس بالأمر الهين، إذ أن هذا يقتضي التعامل من منطلق مبدأ التحول والتوحد مع نفسي، وفي هذا الصدد يقول جاميز إن الشخص الذي يتعامل بمكيالين هو شخص غير سوي في تعاملاته، ولا يقدر علي قول"الأنت".

وهنا نجد أن بوبر يتحدث عن مفهوم العودة دون تغيير واضح في أنطولوجيا"أنا والأنت"،، وفكرة أن الإنسان يمكن أن يغير طريقه إلى طريق الخير هو النداء الذي يدعو إليه بوبر للتحول من هذا الطريق إلى طريق"الحرية" في العلاقات، وذلك في محاولة منه لتطبيق القانون العالمي في التعامل مع الآخر، وكما هو الحال في العبرية القديمة، فكذلك كان بوبر ينادي إلى أخذ الآخر"الهو" بعين الاعتبار" وأن هناك خيارا واحدا في هذا الصدد ألا وهو إتباع اللوائح"[2]. وأن العودة إلى عالم العلاقات هو الذي يحرر الإنسان من الأنانية، غير أن هذا لا يمثل تهديدا للإنسان الذي" تتوافر لديه الحرية للدخول إلى عالم العلاقات"[3]

> هنا تواجه"الأنا" و"الأنت" بعضهما البعض بحرية في تبادلية لا تعتمد علي العرضية ولا تلوثها تلك العرضية. هاهنا يشعر الإنسان بحرية كينونته. والإنسان الذي تتوافر لديه الحرية لا يشعر بضغط العرضية.[4]

وتعد فكرة بوبر عن التحول أو العودة فكرة قوية للغاية: فهي تحقق للإنسان معني وجوده في هذا المكان من العالم، وتفتح له المجال لمعني البعد الاجتماعي من خلال البحث عن المعني في حياة الفرد وكذا في حياة الآخرين وعلي المستوي العالمي، ونجد أن العودة كذلك توضح معني العالم وتقوم بعمل علاقات مع اللانهائي، حيث أن اللانهائي الذي يتمثل في الآخر"الأنت" هو الأساس في كل العلاقات..وهاهنا ينبثق مفهوم التوحد دون الحاجة إلي التنوع، وهذا هو الانجاز الحقيقي لفلسفة الحوار.

ز-"الأنـــت" اللانـــهائي

تقترح انطولوجيا بوبر التخلص من حدود كينونة الإنسان، وعلي الرغم من هذا، فلا تقتصر أنطولوجياه علي الإنسان ولا يتم فهمها فقط في العلاقة بين الإنسان والإنسان، ففي الملخص الأصلي الذي وضعه بوبر لكتاب «الأنا والأنت»، والذي اكتشفه كوفمان في أرشيف بوبر

---

(1) Ibid.
(2) Buber, I and Thou, Kaufmann trans., p. 106.
(3) Ibid., p. 100.
(4) Ibid., pp. 100-101.

حينما قام بعمل الترجمة الجديدة للكتاب، نجد لدينا حركات ثلاثة للفكر: (1) الكلمة (wort)، (2) التاريخ (Geschichte)، (3) الله(Gott) [1]" وتشير هذه الأفكار الثلاث بوضوح إلي (1) الكلمات الرئيسية"الأنا والأنت" و"الأنا والهو"، (2) التاريخ في تطوره داخل نطاق عالم"الهو" المؤثر فى عالم العلاقات؛ و (3) الأنت اللانهائية التي تشير إلى الله.

إن خروج ذلك العمل الذي يعتمد في أساسه على وجود الله الحي، في جيل سمع عن إعلان موت الإله، لأمر يسترعي الانتباه وأن يؤخذ مأخذ الجد. ونستشهد هنا برد بوبر علي سؤال عن العمل الذي يعتبره أهم ما في حياته:

> إذا كان ينبغي علي أن أعين شيئًا "باعتباره الجزء الرئيسي لعملي في الحياة"، فلن يكون هذا الشيء فرديا علي الإطلاق ولكن سيكون هو الشيء الذي قادني ليس فقط لدراسة التوراة، وإلى دراسة الحصيدية، بل وأيضا إلي عرض فلسفي مستقل يرى أن علاقة "الأنا والأنت" مع الله وعلاقة "الأنا والأنت" مع الأفراد الآخرين مرتبطتين ببعضهما البعض. وهذه العلاقة الوطيدة بينهما... هي الجزء الرئيسي من" الحقيقة الحوارية" الذي أفصح عن نفسه لي.[2]

ولأننا نعيش في عصر علماني، وهو عصر غير معتاد علي التعامل مع لغة"علم اللاهوت"، فإننا نجد بوبر يتحدث عن الإله بلغة الفلسفة، وان كان هذا يؤدي إلى الحديث عن إله الفلاسفة والعلماء بدلا من أن يؤدي إلى إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب علي حد تعبير باسكال، وبالإضافة إلى هذا،فإن نظام علم اللاهوت يؤدي إلى وجود" تصور موضوعي" عن الإله كما تفعل الفلسفة، ولذا، فإن بوبر يدلي بشهادته حول التجربة التي مر بها، وحول ما إذا كانت تجربتنا أيضا تدعم تجربته أم لا:

> أنا أنقل لكم تجربتي الإيمانية قدر استطاعتي وكذا أود أن أعرف تجاربكم الإيمانية أيضا، وأقول لهؤلاء الذين لا توجد لديهم تجارب أو يعتقدون هذا أن لا يعتمدوا علي آراء مسبقة، وأوجه حديثي إلى هؤلاء القراء الذين يعرفون من تجاربهم الخاصة التي أتحدث عنها أو يتوافر لديهم الاستعداد للتعلم من هذه التجارب، أما الآخرين فلن يكون كلامي مرض لهم وأنا راض عن هذا.[3]

إن التجربة التي يشهد عليها، أو بالأحرى الجزء الرئيسي في أعماله، هو أنه"من خلال كل"أنت" مفردة، تخاطب الكلمة الأساسية"الأنت" اللانهائية"[4] فأنا فقط حينما أتحدث من أعماق

---

(1) Ibid., pp. 49-50.
(2) "Interrogation," pp. 99-100.
(3) Ibid., p. 96.
(4) Buber, I and Thou, Kaufmann trans., p. 123.

قلبي عن"الأنت"، فإنني آنذاك أخاطب الله، ولم يطلب مني الله أن يكون حبي له وحده كما يقال أحيانا، بل طلب مني أن أحبه من خلال حب الآخر"الأنت"، ويخبرنا بوبر أن كركيجورد قد ضل الطريق في هذه النقطة:

> يقول كركيجورد حول فسخ خطبتهِ من"ريجينا أولسن""من أجل تحقيق الحب، كان علي أن أزيل هذا الشيء". وهذا خطأ في فهم الله... فالكائنات توجد في طريقي بحيث أنني، أنا المخلوق مثلهم، أجد طرقي إلى الله عبرهم.... والله يريدنا أن نأتي إليه عبر الأفراد (مثل ريجينا) الذين خلقهم، وليس بالتخلي عنهم.[1]

لذا فإنه ينبغي علينا عدم رفض العالم أو احتقاره، إذ أن هذا العالم لا يفصلنا عن الله، فقط علينا أن نقوم بعمل العلاقات مع بعضنا البعض،"ولذا فإن من يتعامل بأمانة في هذا العالم فإنه يتجه في الطريق الصحيح نحو الله"[2]. ولذا فإن نتيجة اللقاء مع"الأنت" اللانهائي ليس هو الدعاء اليه في حد ذاته ولكنه نداء إلى العمل داخل هذا العالم."فنحن حينما نتعامل مع الأحياء، فإننا نتعامل مع الله الحي".[3]

وهذا لا يعني أن بوبر يتعرف علي الله من خلال العالم، فالله حسب المصطلحات اللاهوتية التقليدية- وعلى حد تعبير بوبر - يفوق العالم، وأن التناقض في العالم يتم حله فقط من خلال الله. الأعلى والأسفل مرتبطين ببعضهما البعض، وذلك الذي ينشد التحدث إلى البشر دون أن يتحدث إلى الله لا تحقق كلمته، ومن يريد أن يتحدث مع الله دون أن يتحدث مع البشر يضل الطريق.[4]

والله أيضًا شخصي، ويقول بوبر في هذا أن الإنسان ليس"جزءا" من الله، ولكنه يظل"دائما في الجانب المقابل لله"، لذلك"فقد تعاملت مع وحدة الوجود، عندما كنت أضطر الى التعامل معها، باعتبارها تبسيط تأملي زائد عن الحد".[5]

إلا أن هذا لا يعني أن العلاقة مع الله والعلاقة مع"الأنت" علاقتين متداخلتين مع بعضها البعض، فمن خلال"الأنت" تستطيع الأنا فهم الله.

> حينما نفهم قصيدة، فإن كل ما نعرفه عن الشاعر هو ما نعرفه عنه من خلال القصيدة - ولا تسهم أي معلومات عن السيرة الذاتية للشاعر في تحقيق فهم أعمق

---

(1)(Buber) Martin, "The Question to the Single One," Between Man and Man, op. cit., p. 52.
(2) Buber, I and Thou, Kaufmann trans., p. 143.
(3) Ibid., p. 128.
(4) Martin Buber, "Dialogue between Heaven and Earth," On Judaism, ed. N. N. Glatzer (New York: Schocken Books, 1972), p. 15.
(5) "Interrogation," p. 44.

لما يقال: وهي "الأنا" الخاصة بالشاعر التي تتبلور من خلال موضوع هذه القصيدة وحدها. ولكن حينما نقوم بقراءة قصائد أخري لنفس الشاعر بنفس الطريقة... نستطيع أن نبلور فكر متكامل عن وجود الشاعر.

وبهذه الطريقة، يظهر لنا المتحدث في القصيدة، من خلال الإشارات والدلالات.[1]

وبعد أن نلتقي مع الله، نعود إلى العالم ولدينا إحساس عميق بمغزاه، فمن خلال الأشخاص الذين يعيشون حولنا ومن خلال الحيوانات التي تساعدنا ومن خلال التربة التي نعيش عليها والأدوات التي نستخدمها.. كل هذا يتضح لنا من خلال لقائنا مع الله."واليهودية تعلمنا أن ما يفعله إنسان الآن وبنية مقدسة لا يقل أهمية، ولا يقل حقيقة، عن العالم الذي سوف نحياه فيما بعد."[2]

وهكذا نستطيع في النهاية القول، بأن"الأنثروبولوجيا الفلسفية" – عند بوبر– تحولت إلى"انطولوجيا لاهوتية"، وأن العلاقة مع الآخر"الأنت"، تعتمد في معناها علي العلاقة مع الله الذي نستمد منه كل أنواع المعاني، وأن ما يستمده الإنسان من الله هو نوع من الوجود يؤدي إلي:

1. أن هناك نوعا من التبادل التام في العلاقات، وهذا بدوره يجعل الحياة محملة بالمعاني.
2. التأكيد الضمني علي المعني. فمن المؤكد أنه من الآن فصاعدًا لا شيء يمكن أن يكون بلا معني.
3. عدم البحث عن معنى يتعلق"بحياة أخري" بل البحث فى معنى حياتنا هذه، فنحن لا نبحث عن معنى"العالم الآخر" بل عن معنى هذا العالم الذى نعيش فيه، لأنه عالم يحتاج منا أن نوضحه ونستكشف آفاقه.[3]

يبدو أننا ادعينا الآن قدرتنا على تفسير لقائنا مع الله، وأننا ادعينا إيجاد معني للعالم دون إعطاء"محتوي" ملموس لأي منهما، فهذا هو ما ينبغي أن يكون بالفعل، لأن الله هو"الأنت" التي لا يمكن أبدًا أن تصبح"هو" لانه لا نهائى.. إن ما يتحدث عنه بوبر ويوجه انتباهنا إليه باعتباره مصدرا للمعني ليس مذهباً عن الله، وليس لاهوتا تقليديا، ولا فلسفة، بل إنه لقاء مع (الله) الموجود دائما والذي يخاطبنا دائما باعتبارنا"الأنت".

---

(1) Buber, "Dialogue," p. 15.
(2) Buber, "The Way of Man," p. 440.
(3) Buber, I and Thou, Kaufmann trans., pp. 138-139.

ولكن كيف يمكن ليهودي الحفاظ علي ذلك الإيمان وسط جيل يهودي عاش بعيدًا عن أي نور من الله، بل في الوقت الذي اختفي فيه الله نفسه عن الأنظار؟ يقترح بول إدوارد أن تكون صلاة بوبر في مثل هذا العالم على النحو التالى:

إذا كنت أنت نفس الإله الذي كان يستطيع أن ينقذ اليهود ولكنك فضلت بدلًا من ذلك الاختفاء بذاتك، أنعم عليَّ بألا أتخبط في الحياة أو في حياة الشعب اليهودي.... سيدي! لا أريد نصيحة منك ولست بحاجة إلى نصيحة منك ولن أطيع وصاياك.[1]

غير أن بوبر لا ينقم على الله، شأنه في هذا شأن أيوب، فيقول"في أحلك ساعات ظلمة التاريخ اليهودي، لم أشعر باليأس ــ وكذا فإني لا أشعر باليأس الآن!"[2]

كلا، بل إننا وحتى هذه اللحظة لدينا شعور بالرضا، نحن أيضا، بالله، رب الكون الذي اخترناه إلهًا، وإننا نناضل من أجل الله حتى يظهر للأنظار، وفي هذه الحالة، فإننا ننتظر أمره سواء أكان ينبثق من العاصفة أو من الهدوء الذي يلي العاصفة.[3]

3- الخاتمة

بناء على ما سبق لنا عرضه من تحليلات تتعلق بكيفية انتقال بوبر من نطاق"الأنثروبولوجيا الفلسفية" الى محاولة تقديم"رؤية انطولوجية" ذات" طابع لاهوتى" (فى نهاية الأمر) للوجود الانسانى فى العالم، نستطيع بناء على ذلك ان نستخلص النتائج الاتية:

1- تتسم كتابات بوبر – كما رأينا- وخاصة في"فلسفة الحوار" بصعوبة قراءتها وفهمها بسلاسة ويسر على الرغم من تأثيرها الواسع في الفلسفة وعلم اللاهوت والعلاج النفسي والنظرية الاجتماعية والسياسية والتعليم، ذلك أن كتاباته تقتصر علي وصف نطاق ضيق من الخبرات البشرية، إلا أن فكره ككل يصبح أكثر دراماتيكية حينما نتأمل بساطة الخبرات التي انبثقت منها أفكاره.

2- يعلن بوبر في أعماله صراحةً أنه ليس ذا مذهب فلسفي ولا يؤمن بالمذهبية وتحديدًا في الانطولوجيا ومن ثم فأن يقيم مارتن بوبر مقاربته لأنطولوجيا الوجود البشري – الكينونة – على أساس من الأنثروبولوجيا الفلسفية التي تمثل اللبنة الأساسية، التي أقام

---

(1) Edwards, op. cit., p. 49.
(2) Hodes, op. cit., p. 133
(3) Martin Buber, "Dialogue", p. 225.

عليها فكره الفلسفي ككل. بشكل يخلصها من الذاتية والنسبية، ويجعلها تضرب بجذورها في فلسفة العلاقة أو" فلسفة الحوار".

3- ينطلق بوبر من واقع حدسه الأنثروبولوجي ليقول أنه في مسعى الإنسان للتعرف على كينونته كإنسان لا يمكنه أن يرد نفسه أو غيره إلى مجرد موضوع لمعرفته كما لا يمكنه استيعاب ذلك الموضوع على نحو شخصي بأن يسحب المرء ذاته من الصيرورة البشرية، ذلك أن كينونة الإنسان وصيرورته دائما في حالة تكامل جوهرية مع بعضها البعض إلى حد تشكيل واقع واحد لا يتجزأ. وهكذا تتمثل معرفة الإنسان في فهم الإنسان في جوهر كينونته وصيرورته.

4- دائما ما يسعى بوبر إلى تفادي"النزعة السيكولوجية" من خلال موقفه الأنطولوجي وينكر تبنيه لأي موقف ميتافيزيقي. بل وينكر قدرته على بناء أي مقاربة ميتافيزيقية من أي نوع، ذلك أنه تسيطر عليه رغبة قوية ودائمة في السعي وراء اكتشاف حقيقة حياة الآخر بدلا من أن يفرض عليه رأيا متحيزًا، فهو يقدم التعبير الفلسفي عن خبرة الآخرين إلا أنه لا يستطيع القيام بأكثر من ذلك.

5- يرى بوبر أن حقيقة الوجود البشري لا يمكن بحال أن تكون فكرة مجردة عن وجود المرء بمفرده أو المجتمع المحيط به وحده، بل إن الكمال الحقيقي للإنسان يتضح عند تكوين رؤية شاملة له من خلال تعامل الإنسان مع الإنسان، أو بالأحرى من دراسة علاقة الإنسان مع الإنسان حيث تتبلور معالم الكينونة بشكل متكامل وواضح.

6- يقدم بوبر في كتابه الأهم""الأنا والأنت" أفضل وأعمق تصور لطبيعة لقاء الإنسان مع الإنسان، حيث يكون العالم ثنائي بالنسبة للإنسان وفقًا لموقفه الثنائي، ويكون سلوك الإنسان ثنائي وفقا للكلمتين الرئيستين اللتين يمكنه استخدامهما في حديثه ("الأنا والهو"، و"الأنا والأنت")، وحيث لا تتغير الكلمة الرئيسية حينما نتحدث عن هو للعاقل (He-She) أو هو لغير العاقل (It).

7- الإنسان دائما في علاقة مع غيره من البشر، حيث أن النصف الآخر أو المكون الثانوي من مكونات الكينونة البشرية هو"الأنت" أو"الهو"، ومن ثم ليس ثمة كينونة بلا آخر. وفي هذا السياق يعترف بوبر بأن ما يحاول أن ينقله عن خبرته عن علاقة الإنسان

لا يمكن ادراكه فلسفيًا رغم انه لا توجد طريقة اخرى ملائمة للتعبير عن الخبـرة سـوى استعمال الفلسفة!.

8- تتسم علاقة"الأنا والأنت"، بحسب بوبر، بأنها تبادلية وموجودة ومكثفة ومباشرة وغير قابلة للوصف حيث أنها تصف اللقاء الطبيعي بينهما، بينمـا علاقة"الأنا والهو" لا يمكـن استخدامها عند الحديث عن وجود الفرد ككل، حيث أنها تنبثق من التمييز والاختلاف.

9- يصر بوبر دائمًا علي توافر احتمالية الدخول في علاقة حقيقية علي كلا المسـتويين، بمعني أن احتمالية وجود العلاقة متاح لكل إنسان علي كل المستويات التقليدية للحقيقـة – الطبيعة، و الإنسان، والإله، ويتحدث بوبر عن هذه الاحتمالات فيما يتعلق باستخدام اللغة.

10- يفضل بوبر أن يطلق على العلاقة بين الإنسان والإنسان اسم"الجسر الضيق"، ذلك أن السبيل الوحيد – الضيق دائما- للوصول إلى تحقق كينونة الإنسان فـي شـموليتها هـو الدخول في العلاقة، حيث اللاشعور بالأمان الذي ينتج – عادة – عن"الوحدة"-،أو بمعنـى أصح: الشعور باللاأمان (المقدس) على حد تعبير بوبر، ذلك أن هذا الجسر الضـيق هـو منطقة بداخل كل إنسان لا يستطيع لمسها إلا بإدراك"العلاقة"، فالجسر الضيق هو المكـان الذي يتم فيه اللقاء.. وهذا هو المكان الذي يلتقي فيه الفرد مع غيره في المجتمع.

11- تظهر أعظم أثار الأنثروبولوجيا البوبرية في فكرته عن الجسر الضيق حيث يقـرر الحاجة الماسة التي تعتور الإنسان للدخول في علاقة مع الآخر إذا ما شاء إدراك كينونته، وفي هذا يذهب بوبر إلى أن الإنسان لا يظهر إلا مـن خـلال العلاقـة المتبادلـة مـع الآخرين..ومن خلال هذا المعني، يظهر أن"الذي يعيش بـ(الهو) فقط ليس إنسانًا".

12- ما يحدث بين الإنسان والإنسان هو الحوار، ولكن ليس كل ما يبـدو حـوارا يكـون كذلك، وعلى العكس يمكن أحيانا أن يحدث الحوار في صمت مطبق. وثمة حوار حقيقـي يتضمن الاتجاه نحو الآخر بنية عمل علاقة متبادلة، ويمكن انجاز تلك المهمة من خـلال اللغة، وقد يحدث دون أن ينبس الإنسان ببنت شفة. إلا أن الأمر الأكثـر أهميـة هـو أن الحوار الحقيقي يعد نقطة تحول جوهرية للفرد ككل تجاه الآخر، اما الحوار النفسي فهـو عبارة عن"انعكاس" لما يدور بالداخل.

13- يهاجم بوبر بشدة الاتجاهات المعاصرة الراغبة في طمس"الهو" (الأخر) وينـدد بالحرب التي شنتها فلسفات عديدة على الأخر، وهو يعزو هذا الاتجاه الجديد فى الهجـوم على الآخر إلى معتقدات فرويد والمعتقدات الماركسية حول الإنسان، ويرى أنه مهما كان مصدر هذا الهجوم، فإنها تؤدي إلى خطورة في التواصل بين الأفراد ومما يهدد بتـدمير صلاحية اللغة – فى رأى بوبر– انعدام ثقة وجودي حيث يتحول الكلام – بناء على ذلك– إلي حماقة وتتحول المعاني إلي جنون، وليس هذا شكا في الآخر وانما انعـدام ثقـة فـي الوجود بصفة عامة.

14- ينادي بوبر بصياغة معايير وحدود جديدة خاصة بالجانب النقدي الأيديولوجي، لا تتم فيها رؤية الإنسان وحده، بل يتم إدراك الإنسان فيها من كل الجوانب من حيث صـراحته وإخفائه للأمور وعلاقاته مع الآخرين.

15- تبلغ قمة الكينونة البشرية عند بوبر في العودة إلى روح التعاليم اليهودية الحقيقيـة – أو بالأحرى الدخول في علاقة مع الله – أو بمعنى آخر التحول أو العـودة إلـى الـدين. ويعنى بوبر بالتحول المفهوم الرئيسي في الفكر اليهودي القديم بأنه يمكن للإنسان فـي أي وقت أن يغير طريقته الشريرة إلى طريق الخير، فالتحول يعني تجديد الإنسان من الداخل وتغيير موقفه في عالم الله.

16- يرى بوبر أن الاعتراف بالآخر"الأنت" ليس بالأمر الهين، إذ أن هذا يقتضي التعامـل من منطلق مبدأ التحول والتوحد مع النفس، فالشخص الذي يتعامل بمكيالين هـو شـخص غير سوي في تعاملاته، ولا يقدر علي قول"الأنت". وهذا يؤثر بدوره علـي الإمكانيـات الخاصة بالفرد، فإذا استطاع الإنسان أن يحقق السلام الداخلي، فإنه يمكنه آنـذاك تحقيـق السلام علي المستوي العالمي.

17- تعد فكرة بوبر عن التحول أو العودة فكرة قوية للغاية: فهي تحقق للإنسـان معنـي وجوده في هذا المكان من العالم، وتفتح له المجال لمعني البعد الاجتماعي من خلال البحث عن المعني في حياة الفرد وكذا في حياة الآخرين وعلي المستوي العالمي، ونجد أن العودة توضح معني العالم وتقوم بعمل علاقات مع اللانهائي، حيث أن اللانهائي الذي يتمثل فـي

الآخر"الأنت" هو الأساس في كل العلاقات..وهاهنا ينبثق مفهوم التوحد دون الحاجة إلـــي التنوع، وهذا هو الانجاز الحقيقي لفلسفة الحوار.

18- تقترح انطولوجيا بوبر التخلص من حدود كينونة الإنسان، وعلي الرغم من هذا، فلا تقتصر أنطولوجياه علي الإنسان ولا يتم فهمها فقط في العلاقة بين الإنســـان والإنســـان، حيث أن للفكر حركات ثلاث: (1) الكلمة، (2) التاريخ، (3) الله. وتشـــير هـــذه الأفكـــار الثلاث بوضوح إلي (1) الكلمات الرئيسية"الأنا والأنت" و"الأنا والهو"، (2) التـــاريخ فـــي إطار تطوره مع عالم الهو، و (3) الأنت اللانهائية التي تشير إلى الله.

19- يرى بوبر – في معارضة صريحة- لموقف سرن كيركجور، رائد الوجوديـــة الأول أنه ينبغي علينا عدم رفض العالم أو احتقاره، إذ أن هذا العالم لا يفصلنا عن الله، بـــل إن العالم هو طريقنا نحو اللقاء المقدس مع الله ومن يتعامل بأمانة في هذا العالم فإنه يتجه في الطريق الصحيح نحو الله" أو اللقاء مع"الأنت" اللانهائي

20- تتحول الأنثروبولوجيا الفلسفية، عند بوبر، إلى انطولوجيا لاهوتية، وتعتمد العلاقة مع الآخر"الأنت" في معناها علي العلاقة مع الله الذي نستمد منه كل أنواع المعاني. حيـــث أن اللقاء مع الله عبر الموجودات والبشر من حولنا هو تمهيد للقاء مقدس في الماوراء.

21- وإيجازًا، يرى بوبر، في مقاربته للعلاقات الإنسانية، أن ثمة نوع من التبادل التام في العلاقات، وهذا هو ما يجعل الحياة محملة بالمعاني، وهذا المعنى ليس معني"حياة أخـــري" بل معنى حياتنا هذه، ليس معنى"عالم أخر" بل هو معنى هذا العالم، وهو بحاجة إلـــى أن نوضحه في هذه الحياة وهذا العالم. و إدراك تلك المعاني هو تحقق الكينونة البشرية.

****

قائمة المصادر والمراجع

أ- المصادر

أعمال بوبر المترجمة إلى اللغة الانجليزية:

1- (Buber) Martin، Two Types of Faith، trans. Norman Goldhawk (New York: Harper Torchbooks، 1961)، p. 26.

2- (Buber)، Martin: Essays in Religion، trans. Greta Hart [Westport، Conn.: Greenwood Press، 1970]،

3- (Buber) Martin، On Judaism، ed. N. N. Glatzer (New York: Schocken Books، 1972)، p. 225.
4- (Buber) Martin،"Replies to my Critics،" in The Philosophy of Martin Buber، (La Salle، Ill.: Open Court، 1967)
5- (Buber) Martin، The Knowledge of Man: A Philosophy of the Interhuman، trans. Maurice Friedman and R. G. Smith (New York; Harper Torchbooks، 1965).
6- (Buber) Martin، Pointing the Way، trans. and ed. Maurice Friedman (New York; Harper and Row، 1957).
7- (Buber) Martin، I and Thou، trans. R. G. Smith (New York: Charles Scribner's Sons، 1958).
8- (Buber) Martin، I and Thou، trans. Walter Kaufmann (New York: Charles Scribner's Sons، 1970).
9- (Buber) Martin، Between Man and Man، trans. R. G. Smith (Boston: Beacon Press، 1955).
10-(Buber) Martin، the Origin and Meaning of Hasidism، trans: Maurice Friedman، Horizon Press،New York;1960،
2 vols.
11-(Buber) Martin، Tales of the Hasidism، trans: Schocken، New York;1991، 2 vols.

(أ) مراجع باللغات الأجنبية:

12-(Cohen) A.، The question of values and value education in the philosophy of Martin Buber، Teacher College Record، 80. 4، Teachers College، Columbia University، 1979.
13-(Hodes) Aubrey، Martin Buber: An Intimate Portrait (New York: The Viking Press، 1971).
14-(Calvin) O. Schrag، Existence and Freedom (Evanston: Northwestern Universit،، Press، 1961).
15-(Calvin) O. Schrag، Experience and Being (Evanston: Northwestern University Press، 1969).
16-(Hilliard) F. H.، A re-examination of Buber's address on education. British Journal of Educational Studies، 21(1)، 1973، (pp. 40-49).
17-(Friedman) Maurice، Martin Buber: The Life of Dialogue (New York: Harper Torchbooks، 1955).
18-(Friedman)Maurice، Martin Buber: The Life of Dialogue، (Routledge، New York، 2002).
19----------، Martin Buber's life and work: the early years، 1878-1923، (Dutton، New York، 1981).
20-(Wyschogrod) Michael،"Martin Buber،" Encyclopedia of Philosophy، Vol. I. (Macmillan، 1973)
21-(Richard) F. Grabau،"Existential Universals،" in An Invitation to Phenomenology، ed. James M. Edie (Chicago: Quadrangle Books، 1965)،
22-(Robert) E. Wood، Martin Buber's Ontology (Evanston: Northwestern University Press، 1969)
23-(Schilpp) Paul Arthur، Maurice S Friedman، and Martin Buber. The Philosophy of Martin Buber. [1st ed.] (La Salle، Ill.: Open Court، 1967).
24-(Edwards) Paul، Buber and Buberism (University of Kansas: Dept. of Philosophy، 1970).
25-Sydney and Beatrice Rome، ed.، Philosophical Interrogations، (New York: Holt، Rinehart، and Winston، 1964).

26-(Earle)William، "Ontological Autobiography،" Phenomenology in America، ed. James M. Edie (Chicago: Quadrangle Books، 1967)
27-(Kaufmann) Walter ed.، Religion from Tolstoy to Camus، (New York: Harper 1961)
28-Old Testament books.

ب- مراجع باللغة العربية

29-(دوبفوار) سيمون، أنا وسارتر والحياة، ترجمة عايدة مطرجي إدريس، منشـــورات دار الأدب، بيروت – لبنان، ط1، 1961،.

30-(هاشم) محمد ، جدلية المعرفة – قراءة فى البعد الابستمولوجى لفلسفة الحوار عند مارتن بوبر– (بحث غير منشور).

ج- المراجع على شبكة الانترنت

31-القاموس الفلسفي لمعابر: مارتن بوبر، على الرابط:
http://www.maaber.org/philosophy/Buber.htm

32- Stanford Encyclopedia of Philosophy. http://plato.stanford.edu/entries/buber/